وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمّد الصديق بن يحيى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

أدب الرحلة بين الفضاء الجغرافي والتاريخ والثقافة

كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب قديم

إعداد الطالبتين:

- سلمى لعربي
- خديجة طويطو

إشراف الأستاذ:

- عبد المالك بوتيوتة

لجنة المناقشة

الدكتور :عبد الله عباسي....	..... جامعة جيجل	رئيسا
الأستاذ: عبد المالك بوتيوتة.....	جامعة جيجل	مشرفا
الأستاذ:خالد أقيس.....	جامعة جيجل.....	مناقشا

السنة الجامعية 1441هـ-1442هـ الموافق لـ 2019م-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دعاء

يا رب لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا فشلنا، بل ذكرنا دائما بأن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح

يا رب ساعدنا على أن نقول كلمة حق في وجه الأعداء ولا نقول كلمة النجاح الباطل لكسب الأقوياء

يا رب إذا أعطيتنا نجاحا لا تفقدنا تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا لا تفقدنا اعتزازنا بكرامتنا

اللهم إن كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لإصلاح الناشئين بالتربية المثقفة والمهذبة ولنجهد أنفسنا في طريق استكمال الأخلاق الفاضلة ونسأل الله أن يصلح ما بيننا من فساد وأن يوفقنا جميعا إلى ما به نجاحنا وسعادتنا

شكـر و عـرفــا ن

أولا نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لتتويج عملنا

وبكل معاني الشكر والعرفان نتوجه لكل من أمدنا بالمساعدة سواء من قريب أو من بعيد ووقف إلى جانبنا لإخراج هذا العمل على هذه الصورة، وإن كان لنا أن نخص أحدا بالذكر فلا يسعنا إلا أن نقدم خالص شكرنا وامتناننا للأستاذ القدير الذي أشرف على هذا العمل **"عبد المالك بوتيوتة"** مثنين على توجهاته الثمينة.

إ هـد ا ء

إلى من أنار لي درب العلم والمعرفة

وتحمل مشقة الحياة واجتهد في تربيتي والاعتناء بي منذ الصغر

إلى من كان لي الأمل وتحمل عنادي ومشقة بحياتي

أمي الغالية.

إلى من علمني معنى الحب والوفاء والصبر

أبي العزيز

لطالما حلمت أن تراني أتفوق وأحقق النّجاح

ها هو اليوم حلمك يتحقق استطعت أن أحصد ثمرة نجاحي

وكلّ هذا بفضلك.

ولا يسعني هنا سوى أن أتوجه بخالص الشكر والامتنان الكبير

لوالديا بارك الله فيكما وأطال في عمركما.

إلى روح أخي الغالي مخلوف

إلى إخوتي:

لبنى –وردة –إيناس –نجوى –صليحة.

سلمى

إ هـد ا ء

إلى من أنارت دربي ووقفت جنبي –أمي الغالية– أيتها النجمة العالية،

كنت وما زلت سندي في هذه الحياة، أنت نبع الحنان والأمان.

إلى تعب من أجلي وتحمل مشقتي منذ صغري –أبي العزيز– إلى من كان حلمه رؤية

نجاحي وتفوقي أبي حبيبي ها قد وصل اليوم المنتظر وتحقق حلمك.

إلى من اتخذتهم قدوة في دروب المعرفة إخوتي: جازية، سعاد، ريان، حياة، مريم،

سلمى.

إلى خطيبي الذي رفع من معنوياتي: "خير الدين"

إلى أخواني: عبد الباسط، مُحَمَّد.

إلى صديقاتي: منى، لبنى، يسرى، سميرة، مريم، يسرى، يسرى.

إلى من تقاسمت معي مشقة هذا البحث صديقتي الغالية،

إلى أختي التي لم تلدها أمي: **سلمى**.

_ خديجة_

rawpixel

المقدمة

مقدمة:

من بين الدراسات المشتغل عليها في الوقت الحاضر من طرف الدارسين للأدب والفنون أدب الرحلات والرحلات مهما تعددت واختلفت مآربها وأهدافها، إلاّ أنّ طغيان السرد ووصف الأمكنة وعرض الأحداث اعتبرها النّقاد جنسا أدبيا متميزا عن الأجناس السردية الأخرى مثل القصة، السير الذاتية والمسرح، لأنّها تضم في طياتها إضافة إلى السرد والوصف التاريخ والسياسية والجغرافيا والعلوم الأخرى، ونجد أنّ الدارسين والأدباء اهتموا برحلات عديدة لكن الرحلات ذات الصبغة التوسعية أو الاستعمارية ،اكتشاف عوالم جديدة لم يدرسها نقاد الرحلة (الاكتشاف- التبشير- الاستعمار) ونحن نحاول من خلال هذه الدراسة أو البحث كشف بعض مظاهر وفنون الرحلة ذات الأبعاد السياسية في زمن التوسعات الغربية تجاه العالم العربي والعالم الجديد، من خلال رحلة الحسن الوزان، حاولنا مواجهة هذا النّص، وهذا بطرح أسئلة منهجية تعدّ مفتاحا لإشكالية البحث، وهي ماهية الرحلة، متى ظهر فن أدب الرحلة؟ فيما تتمثل أهم دوافعه وخصائصه؟ ما هي أهم المظاهر الثقافية والأدبية والتاريخية التي تتوفر عليها الرحلة باعتبار أنّ الرحلة وثيقة تاريخية وثقافية؟.

ولهذا جاءت مذكرتنا بعنوان: أدب الرحلة بين الفضاء والتاريخ والثقافية، كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان نموذجا.

وعليه كانت الإجابة على هذه الأسئلة وضع خطة منهجية نلتزم بها منذ بداية العمل حتّى نهايته، فقمنا بتقسيم بحثنا إلى فصلين وخاتمة تناولنا في الفصل الأوّل وهو جانب نظري، مفاهيم أولية: مفهوم الرحلة ومفهوم الفضاء،مفهوم التاريخ،مفهوم الثقافة، بعدها ميزنا بين الفضاء والحيز، كما تناولنا نشأة وتطور أدب الرحلة،

دوافعها وخصائصها، كما وضحنا العلاقة الموجودة بين كلّ من أدب الرحلة والفضاء والتاريخ والثقافة، أمّا الفصل الثاني فجاء تطبيقي محض خصصناه لتحليل شخصية الحسن الوزان، وشرح وتحليل كتاب وصف إفريقيا.

ولإعطاء هذه الدراسة حقها خصصنا موضوع بحثنا هذا "كتاب وصف إفريقيا" الذّي جسد الواقع بمختلف ظروفه، وكشف حقا عن مواقف التحولات التي عرفتها إفريقيا، فكانت أولى الأسباب التي دفعتنا وحمستنا لتعرض دراسة لهذا الكتاب.

ونظراً لكون كتاب وصف إفريقيا مصدر لا غنى عنه يحمل قيم إنسانية وسياسية ودينية جسدت طبيعة الواقع المعيش، أضف إلى ذلك رغبتنا في إضافة شيء ما إلى مكتبتنا يخص هذا الرحالة الذّي أثر فينا بأعماله من خلال استعراضه تاريخ هذا البلد.

وإنّ اختيارنا لموضوع أدب الرحلة بالتحديد كتاب وصف إفريقيا، للحسن الوزان هو لغاية اكتشاف طبيعة قارتنا معرفة تفاصيلها كون أدب الرحلات لون من الألوان الأدبية ينقل فيه الرحالة صور حيّة وحقيقة عن مختلف البلدان التي زارها من عادات وتقاليد، فرغم أهميته إلاّ أنّه لم ينقل ما يستحقه من البحث والدراسة ولم يحظ بدراسة كافية، بالإضافة إلى رغبتنا في تقديم إسهاماً متواضعاً في مجال الدراسة إلى مكتبتنا التي لا تزال بحاجة إليها.

وكأي بحث لا يخلوا من صعوبات وعراقيل ومعيقات، خلال انجازنا هذا البحث واجهتنا مجموعة من الصعوبات منها قلة الدراسات التي تتناول موضوع أدب الرحلة، إلى جانب ذلك الظرف الفجائي الذّي طرأ على البلاد المتمثل في جائحة "كورونا" الذّي ألزمنا البيوت وأغلق أبواب الجامعة فواجهنا صعوبة في التواصل مع بعض رغم وجود مواقع التواصل الاجتماعي إلاّ أنّ ذلك غير كافي من أجل انجاز هذا البعض ومناقشة تفاصيله،

ولمواجهة هذا الظرف الاستعجالي صعب علينا الذهاب إلى المكتبة من أجل اقتناء الكتب التي نحتاجها. وكلّ هذا لم يمنعنا من إنجاز وإكمال البحث.

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الرحلة في الأدب العربي لشعيب حليقي، أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل، وقائمة المصادر والمراجع تكشف الجهد المبذول. وانتهى البحث بخاتمة شملت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وفي الأخير نتوجه بالشكر وأخص بالذكر الأستاذ المشرف لما له من فضل التوجيه والإرشاد والإشراف الأستاذ "عبد المالك بوتيوتة" والله الموفق وفقنا لما فيه خير.

الفصل الأول: مفاهيم أولية

1- مفهوم الرحلة:

أ- لغة:

رحل عن المكان رحلا، ورحيلا، وترحالا، ورحلة، سار ومضى البعير رحلا، ورحله: جعل عليه الرحل فهو مرحول ورحيل، وعلاه وركب، ويقال رحل فلان بمكروه، ورحله سيفه علاه به أرحل فلان كثرت رواحله فهو مرحل، و الإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة، وفلان: جعله يرحل والإبل: راضها حتى صارت رواحل، وفلان: أعطاه راحلة راحله: عاونه على رحلته رحله جعله يرحل، والإبل: وضع عليها رحالها و- الثوب: وشاه بصور الرحال فهو مرحل وفي حديث « إن رسول ﷺ: " خرج ذات يوم وعليه مرط مرحل» والحساب: نقله إلى موضع آخر لاحق بالأول (محدثة) ارتحل: رحل –و-البعير جعل عليه الرحلة، وركبه، والطفل أباه: على ظهره، ترحل رحل الدابة: ركبها. وترحله ركبه بمكروه، استرحله سأله أن يرحل له، وطلب منه رحل والناس نفسه: أدلها لهم فركبوه بالأذى.

الرحلة: (الارتحال والجمع رحل وفي تنزيل العزيز « رحلة الشتاء والصيف » سورة الكافرون الآية2 .

وكتاب يصف فيه الرحالة ما رأى وبعير ذو رحلة ذو قوة على السير الرحلة: ما يرتحل إليه، يقال الكعبة: رحلة المسلمين، وأنتم رحلة وعالم رحلة: يرتحل إليه من الأفاق وبعير ذو رحلة: قوة على السير الرحول: كثير الارتحال الرحيل: الارتحال والقوى على الارتحال والسير.[1]

كما نجد في موضع آخر تعريف الرحلة عند الفيروزبادي في قاموس المحيط: الرحل: مركب للبعير كالراحول جميع أرحل ورحال ومسكنك وما تستصحبه إلى الأثاث، والرحالة ككتابة السرج أو من جلود لا خشب فيه،

[1]- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مج 1، ط4، بيروت، 2000، ص 334.

يتخد للركض الشديد، رحل البعير كمنع ،وارتحله: حط عليه الرحل فهو مرحول ورحيل، وإنه لحسن الرحلة بالكسر، أي الرحل للإبل والرحال: العالم به المجيد وأرحلها: راضها، فصارت راحلة وبعير ذو رحلة، بالكسر والضم قوي، وشاة رحلاء سوداء، وظهرها أبيض، أو عكسه وفرس أرحل أبيض الظهر فقط، وبعير ذو رحلة، وجمل رحيل قوي على السير، وترحله: ركبه بمكروه، ارتحل: البعير: سار ومضى والقوم على المكان: (انتقلو كترحلوا والاسم: الرحلة بالضم والكسر أو بالكسر الارتحال، وبالضم الوجه الذي تقصده، والسفرة الواحدة، وأرحل كثرة رواحله.[1]

ومن خلال هذه المفاهيم اللغوية نجد أن مصطلح الرحلة لغة يقصد به الانتقال من مكان إلى آخر والقدرة على التحمل والسير الطويل، وقد كانت الرحالة في القديم يستعملون البعير، كوسيلة للانتقال والعبور، فلم تكن هناك إمكانيات أخرى تساعدهم على عملية الترحال، فهي كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي رحل، وتعني السير والوجهة، والمقصد المراد السفر إليه، والمكان المراد الوصول إليه لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان لآخر.

ب– اصطلاحا:

تعد الرحلة كتابة ملتبسة سواء على مستوى الهوية والأجناسGenéreque ، أو على مستوى محاورتها في سياق نظرية الأدب لأجناس أدبية أو غير أدبية تخلقت من صلب الرحلة وتخلقتها أيضا بصيغ وأنماط كتابية أو شفاهية متعددة. [2]

[1]– مجد الدين مُحَّد يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2009، ص 1018.

[2]– د. عبد الرحيم مؤدن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار الأهلية للنشر والتوزيع د ط. دت، ص 23.

فحسب هذا السياق أن الرحلة وليدة وفن من الفنون الأدبية، وقد تكون الرحلة مشافهة أو كتابة فهي وسيلة للمعرفة والانفتاح على العالم.

الرحلة: « نص مفتوح لا يمكنه أن يتسيج في خانة محددة، تحس بصفة معينة تضيق من تحرره، واتساعه وانتشاره، وهجومه الضروري على حقول أخرى»[1]

وفي الأخير نستنتج بأن الرحلة عبارة عن نص، لا يمكن أن ينحصر في موضوع محدد بل تتسع وتنتشر، في مختلف المجالات، فالرحلة بدورها هي ذلك للانتقال من مكان إلى آخر، وزيارة مختلف بلدان للعالم، وذلك عن طريق وصف الآثار والمعالم سواء كانت مشافهة أو مكتوبة.

2- مفهوم أدب الرحلة:

لقد جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: « أن أدب الرحلة مجموعة من الآثار الأدبية التي تناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي شاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة أو يجمع بين كل هذا في أن واحد»[2]

إن أدب الرحلة حسب مفهوم مجدي وهبة هو عبارة عن تلك المغامرات التي عاشها الرحالة يصف من خلالها مختلف العادات والتقاليد ويسجل مختلف المناظر الطبيعية التي شاهدها خلال رحلته إلى مكان ما وتركت في نفسه انطباعات.

---

[1]- شعيب حليفي: في الأدب العربي، مكتبة الندب المقربي، أفريل 2002، د. ط، ص 40.

[2]- مجدي وهبة: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1999، 1984، ص 17.

ونجد ناصر الموافي في تعريفه أدب الرحلة يرى أنه: « ذلك النثر الذي يصف رحلة ورحلات واقعية، قام رحالة متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرن بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه»[1]

أدب الرحلة في نظر ناصر الموافي هو عبارة عن تلك الكتب النثرية، ينقل من خلالها الرحالة أحداث واقعية، يهدف إلى وصف الانطباعات والمشاهد التي خلفتها الرحلة فيه وينقلها إلى القارئ بغية التأثير فيه.

لقد تعددت مفاهيم أدب الرحلة وتنوعت من دارس إلى آخر بتعدد وجهات النظر، وهذا شعيب حليفي يقول: « فن من فنون النثر العربي وتشكيل نص ذاتي شخصي بخصوص من الأنا و الأخر... يتبين مكتفي في شكل معين لتعبير عن رؤية معينة، انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية، أو مضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات. »[2]

أدب الرحلة هو فن نثري يتشكل من ذاتية الرحالة وامتزاجه بالآخر يجسدها في شكل تعابير ورؤيا يضفي عليها طابع السرد والوصف في حين يعرفه سعيد بن سعيد العلوي: «بأنه جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية، كونه خطاب مخصوص له منطقة الذاتي وبناؤه ومكوناته، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه، والإمتاع لما يرصد لنا ما هو عجيب، الأمر الذي يجعل الرحالة يتقمص شخصية السارد أو

[1]– ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي" حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995، ص 41.

[2]– شعيب حلفي: الرحلة في الأدب العربي، التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل ورؤيته، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، ط1، القاهرة، 2006، ص 45.

القاص»[1] فأدب الرحلة يتميز عن بقية الأجناس الأدبية بأنه مستمد من الواقع مبتعد عن الخيال يصف حقائق شاهدها الرحالة يهدف من خلاله الرحالة إلى إمتاع القارئ وإفادته مؤديا دور السارد أو القاص بأسلوب ذاتي.

فأدب الرحلة هو: « تلك النوع الأدبي الذي يفسح المجال أمام ترسيخ تقليد الموازنة بين فضائين... وهي في كل الحالات تجربة يعيشها الرحالة من أجل هدف فردي، أو جمعي، لغاية تحقيق منفعة مادية، أو روحية»[2]

إن أدب الرحلة أدب جامع بين شتى العلوم والثقافات، وكذلك العادات والسلوكات والتاريخ والجغرافيا، بإمكان المؤرخ أن يعود إليه لضبط بعض المعلومات التاريخية وكذلك الجغرافية لعالم الآثار، لأن الرحالة يصف المباني والمعابد والأشكال التي يصادفها خلال رحلته، وفي الأخير نستنتج أن أدب الرحلة أدب متسع يصعب تصنيفه، يمكن تصنيفه ضمن المغامرات، أو السفر، أو الرحلات، أو ضمن التاريخ.

3- مفهوم الفضاء:

أ- لغة:

فضا المكان فضاء وفضوا: اتسع، و – خلا و- الشجر بالمكان فضوا: كثر وفلان دراهمه: لم يجعلها في صرة

أفضى المكان: فضا – و- فلان: خرج إلى الفضاء- و – إلى فلان: وصل – و – الأمر به إلى كذا من النتائج – و- الساجد بيده إلى الأرض: مسها براحتيه في سجوده، و – إلى فلان بالسر: أعلمه به – و- إلى

[1]-ينظر: سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1995، ص 14.

[2]- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، ص 70.

المرأة: خلا بها.

الفضا: المنفرد يقال: سهم فضا، وبقيت فضا: وحدي وتركت الأمر فضا: غير محكم، وأمرهم فضا بينهم: سواء بينهم لا أمير عليهم.

الفضاء: ما اتسع من الأرض والخالي من الأرض – و- من الدار: ما اتسع من الأرض أمامها- و- مابين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها إلا الله والجمع أفضية[1].

وجاء مفهوم الفضاء في موضع آخر للفيروزبادي في القاموس المحيط ومنه:

فضا: المكان فضاء وفضوا: اتسع كأفضى ودراهمه: لم يجعلها في صرة والفضا: الفضى والشيء المختلط، وبالمد: الساحة، وما اتسع من الأرض، وأفضى المرأة: جعل مسلكيها واحدا، فهي مفضاة، وإليها: جامعها، أو خلا بها جامع أم لا و إلى الأرض: مسها براحته في سجوده، وسهم فضا: واحد، وبقيت فضا: وحدي، و مُحَمَّد وخالد ابنا فضا: معبران.[2]

وقد ورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي فنجده يقول: الفضاء: المكان الواسع، والنعل فضا يفضو فضوا وفضاء فهو فاض، أي واسع،

والفضا، مقصور الشيء المختلط كالتمر والزبيب في جراب واحد قال:

[1]- معجم الوسيط: ص 693- 694.

[2]- الفيروزبادي: قاموس المحيط، ص 1327.

فقلت لها ياعمتي لك ناقتي وتمر فضا في عيبتي وزبيب

وفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله: أنه صار في فرجته وفضائه، وألقيت ثوبي في الدار فضا أي لم أستودعه أحدا، وأفضى الرجل المرأة، إذا جعل سبيليها سبيلا واحدا.[1]

من خلال تلك المفاهيم اللغوية، نجد أنها توصلت إلى تعريف واحد للفضاء، والذي اشتق من الفعل الثلاثي أفضى ويعني الفضاء الأرض الواسعة، والمكان الواسع، وأي الشيء الواسع، وكل شيء واسع سمي ذلك الاتساع بالفضاء.

ب- اصطلاحا:

لقد تعددت تعاريف ومفاهيم الفضاء عند النقاد، وتباينت فهو مكون من الزمان والمكان، ووصف تلك الأمكنة و الأزمنة مؤكدا على تلازمها .

« ولعل حميد لحمداني قد سبق النقاد العرب إلى معالجة الفضاء الروائي، فعالجه أولا بعنوان الفضاء الحكائي وميزه على المكان، فأشار إلى أنه أوسع وأشمل » بأنه ينشأ عن طريق التحام السرد والوصف[2]

فمن خلال هذا التعريف لحميد الحمداني يتبين لنا أن الفضاء، هو ذلك الحيز الجغرافي الذي ينعت أو يسمى حسب نظرة هذا الناقد إليه بالمكان والزمان، ونجد في موضع آخر مفهوم الفضاء « هو منظومة ثقافية

[1]- الخليل بن احمد الفراهيدي: معجم العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 3، عبد الحميد هنداوي، ط1، 2003، 1424، ص 327.

[2]- عمر بن قينة: رحلات ورحالون في النشر العربي الجزائري الحديث، دار الأمة د ط، د ت، ص 5.

صادرة عن تأويل الرحالة للمرئي، وفي سياق المنظومة الثقافية العامة، وعملية التأويل هاته تؤدي إلى منح النص خصائصه الفنية والجمالية»[1]

و من خلال هذه الرؤية يتبين لنا أن الفضاء يمنح النص تلك القيم الجمالية والفنية، فهو عبارة عن تلك المنظومات الثقافية، التي يستمد من خلالها النص أسسه.

و يري البعض « أن الفضاء الروائي، يتحدد بالمكان في زمان محدد، وحدده البعض الآخر بأنه كل معقد لا يمكن احتواله إلى مجرد وصف للأمكنة»[2]

نجد اختلاف الآراء ووجهات النظر في تعريف الفضاء فنهم من حدده بالمكان، والبعض الآخر يرى بأن الفضاء تجاوز على تلك الأوصاف التي توصف بها الأمكنة.

-ونجد في موضع أخر مفهوم للفضاء هو Lespac، وهو المكان المؤول من خلال ذات ساردة وواصفة، قد يحتمل الوجود، وقد لا يكون من إنتاج المتخيل مفردا أو جمعا وأمكنة، هو علاقة خاصة مع المكان من قبل المرسل، وعلاقة مميزة من قبل المتلقي. هو مجال متسع للوصف والسرد والتأثيت بمؤثاث الدلالة.[3]

فالفضاء هو ذلك المكان المتسع، المبين على أساس الوصف والسرد قد لا يحتوي على الخيال الذي ينتجه الفرد أو الجماعة، وبعبارة أخرى هو وصف للأمكنة، وسرد تلك الأوصاف بعبارات.

---

[1]- عبد الرحيم مؤذن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، ص 354.

[2]- صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيق المركز الثقافي العربي، د، ط، د، ت، ص 05.

[3]- عبد الرحيم مؤمن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، ص 353.

2-1- مفهوم الحيز:

الحيز مصطلح متعدد الأبعاد والدلالات، فهو عنصر مصمم في بنية الشكل الروائي، فهو بذلك يشكل: «أبرز المباحث السردية باعتباره بنية لا تستقل عنها البني الأخرى المشكلة للمادة الحكائية، إلا أن هذه الرؤية قد لا تكون قارة وثابتة»[1] من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الحيز هو تلك الأسس والعناصر القادرة على استيعاب مكونات البنية السردية المشكلة للمادة الحكائية، وهو عنصر غير مستقل عنها، وهذه الرؤية قد تتغير ولا تبقى ثابتة.

أما عبد المالك مرتاض فيرى أن: « الحيز لا حدود له ولا انتهاء ،فو المجال الذي يتبارى فيه كتاب الرواية فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل »[2]

يرى عبد المالك مرتاض أن الحيز مصطلح واسع ليس له حدود ولا نهاية وهو ذلك المجال الذي يتميز فيه كتاب الرواية فيتعاملون معه حسب ما يريدون وحسب متطلباتهم وما يحتاجون.

2-2- الفضاء/ الحيز:

إن كل من مصطلح الفضاء والحيز مصطلحين متداخلين، مما أثار جدل ونقاش بين النقاد، فتباينت الآراء واختلفت من شخص لآخر.

---

[1]- جنيت وآخرون: الفضاء الروائي، نر: عبد الرحيم جزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط،2002، ص 6.

[2]- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، الكويت، دط،1998، ص 246.

فنجد عبد المالك مرتاض استعمل مصطلح الحيز تبديل للفضاء، وفضله عنه يقول: «والحق أننا عدلنا عن اصطناع مصطلح الفضاء إلى مصطلح " الحيز" لأن الفضاء عام جدا، في رأينا، وقد تسرب إلى أكثر من حقل معرفي معاصر فاصطنع فيه...ومن أجل ذلك ارتأينا أن نصطنع مصطلح الحيز الدال على الفضاء الأدبي » [1]

يتبين لنا أن عبد المالك مرتاض استعمل مصطلح الحيز بدلا من مصطلح الفضاء فالفضاء حسبه مجال واسع وشامل لا يتميز على حقل معرفي واحد بل يتعدى ذلك إلى حقول معرفية أخرى، لذلك فضل مصطلح الحيز على الفضاء لأنه يشمل الفضاء الأدبي.

يقول موضع آخر: « الحيز كما نريد أن نتصوره ليس مكانا بالمفهوم للزمان وإنما هو تصور ينطلق من تمثل شيء يتخذ مأتاه من مكان ما وليس به ثم يمضي في أعماقه روحه يفترض عوالم الحيز المتشجرة عن هذا الحيز الأصل الذي لا ينبغي أن تكون له أبدا، لأن كل حيز يفضي إلى حيز آخر، فترى الصورة الفنية تتعمق بانشطارها إلى أشطار وتجزؤها إلى تركيبات»[2]

يريد هنا عبد المالك أن يقول أن الحيز ليس مكانا بالمفهوم للزمان وإنما هو ذلك التصور النابع من المكان ويغوص في أعماقه، ويبرز أصوله، فكل حيز يكمل حيز أخر.

4- مفهوم التاريخ:

أ- لغة:

التاريخ في اللغة: الإعلام بالوقت يقال أرخت الكتاب وورخته، أي بينت وقت كتابته.

---

[1]- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2007، ص297،298.

[2]- عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة " أشحان يمنية " ديوان المطبوعات الجامعية،دط، الجزائر، دت، ص 79.

وقال الجوهري « التاريخ تعريف الوقت، والتوزيع مثله: يقال أرخت وورخت وقيل اشتاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرها، وهو صغار الأنثى من بقر الوحش، لأنه شي حدث كما يحدث الولد» انتهى وقال أبو الفرج قدامى بن جعفر في كتاب الخراج« تاريخ كل شيء أخره، فيؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة».

ونحوه قول الصولي: « تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي انتهى إليه زمنه، ومنه قيل لفلان تاريخ قومه، إما لكون إليه المنتهى في شرف قومه كما قاله المطرزي، وذلك بالنظر لإضافة الأصول الجليلة من كرم أبو فخر أو نحوها إليه، وإما لكونه ذاكرا للأخبار وماشاكلها»[1]

وبذلك فالتاريخ هو تلك الأحداث والوقائع، التي تقع سواء مع شخص من الأشخاص، أو مع قوم، وهو تلك الأخبار التي حدثت من قبل.

وقد جاء في معجم الوسيط تعريف آخر للتاريخ « من الفعل أرخ إلى مكانه أروخا وحن، والكتاب وغيره بكذا أرخا بين وقته، وأرخ الكتاب حدد تاريخه والحادثة ونحوه فصل تاريخه، وحدد وقته، والتاريخ جملة الأحداث والأحوال التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية، والإنسانية ،ويقال فلان تاريخ قومه، إليه ينتهي شرفهم ورياستهم ،والتاريخ تسجيل هذه الأحوال، والمؤرخ عالم التاريخ.[2]

فلكلمة تاريخ مشتقة من الفعل أرخ بمعنى حدده .

ب– اصطلاحا:

تعددت آراء العلماء في تفسير كلمة تاريخ " باختلاف المفاهيم والمدلولات وارتبطت بطريقة الاستعمال.

---

[1]– د. محسن جاسم الموسوي وتمال نجيب عبد المالك: التراث الثقافي العربي مختارات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2007، ص 517- 518.

[2]– معجم الوسيط، ص 13.

ونجد أن التاريخ هو: « جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما وتصدق على الفرد والمجتمع، كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية»[1]

من خلال التعريف يتضح لنا أن كلمة تاريخ تطلق على مجموعة من الوقائع والأحداث التي مر بها الإنسان في الماضي وكل ما كان له أثر في حياة الناس.

ويعرفه ابن خلدون فيقول: « التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لذلك العمران من الأحوال، وأصناف التقلبات للبشر بعضهم عن بعض»[2] يرى ابن خلدون أن التاريخ في حقيقة أمرة هو تحقيق وكشف ودراسة وتأمل وفحص لمختلف الأنشطة البشرية في وقت مضى من أجل رصد مختلف أسباب الظواهر التاريخية بغية التعرف على بدايات الأحداث ومعرفة أصولها.

ونجد عبد الله العروي يقول « نفهم من كلمة تاريخ مطلق ما حصل قبلنا مجموع أحوال الماضي المحفوظة في وعي غير بشري، وفي متناول البشر عن طريق الكشف والإطلاع المباشر»[3]

فالتاريخ إذن هو عبارة عن أحداث ووقائع حصلت فعلا في الماضي فقاموا بحفظها وتسجيلها لكي نستطيع نحن اليوم معرفة تاريخنا وأحوال الأمم السالفة فعندما نكتشف ما لم نكن نعرفه فهذا دليل على أنه شيئا كان موجود غير معروف ولم يدوره ويحافظوا عليه ما كنا نحن قد عرفناه.

---

[1]- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 82.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، تح: درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية، ط2، بيروت، 2000، ص 40.

[3]- عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص 37.

ونجد الشيخ عبد الرحمن الجيلالي يعرفه: « علم تعرف به أحوال الماضين من الأمم الخالية من حيث معيشتهم وسيرتهم، ولغتهم وعاداتهم، ونظمهم وسياستهم واعتقادهم، وآدابهم، حتى يتم بذلك معرفة أسباب الرقي والانحطاط في كل أمة وجيل»[1]

حسب رأي عبد الرحمن الجيلالي يتضح لنا بأن التاريخ هو سجل لمعرفة أحوال الناس من مختلف العادات والتقاليد وطريقة العيش ويكون الهدف منه معرفة مستوى الأمم وتبيان موطن الرقي من جهة والانحطاط من جهة أخرى.

5- مفهوم الثقافة:

أ- لغة:

لكل شخص طريقته الخاصة في العيش واستنباط نمط حياته ومختلف العادات والتقاليد التي يشارك فيها الأفراد داخل المجتمع من مختلف التجارب التي يمر بها الإنسان وتستقر في أعماقه تحت ما يسمى بالثقافة وقد جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي لفظ ثقف على النحو التالي:

- ثقف: قال أعرابي: إني لثقف لقف راو رام شاعره وثقفت فلانا في موضع كذا، أي أخذناه ثقفا وثقيف: حتى من قيس وخل ثقيف قد ثقف ثقافة، ويقال: خل ثقيف على قوله: خردل حريف وليس بحسني. والثقاف حديدة تسوى بها الرماح ونحوها، والعدد أثقفة وجمعه ثقف والثقف مصدر الثقافة، وفعله ثقف إذا لزم، وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه. وقلب ثقف أي سريع التعلم والتفهم.[2]

---

[1]- أبو القاسم الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ج7، ط1، بيروت، 1998، ص 303.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، د ص 204.

وفي هذا الموضع تطلق كلمة ثقافة على السلوك الذي ينتقل عن طريق التعلم وسرعة الفهم، وهي بهذا المعنى سرعة أخذ العلم وفهمه.

كما وردت لفظة ثقف في القاموس المحيط للفيروزبادي فنجدها على النحو التالي: ثقف، ككرم وفرح، ثقفا وثقفا وثقافة: صار حاذقا خفيفا فطنا، فهو ثقف، كحبر وكتف وأمير وندس وسكيت، وكأمير، أبو قبيلة من هوازن، واسمه، قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، وهو ثقفي، محركة.

وخل ثقيف، كأمير وسكيت: حامض جدا، ثقفه كسمعه: صادفه أو أخذه، أو ظفر به، أو أدركه. وامرأة ثقاف، كسحاب: فطينة وككتاب: الخصام والجلاد، وما تسوى به الرماح.

أثقفته أي: قيض لي وثقفه تثقيفا: سواه وثاقفه فثقفه كنصره: غالبه فغلبه في الحذق[1]

لقد تعددت وتنوعت مفاهيم الثقافة من دارس إلى آخر بتعدد واختلاف وجهات النظر فهناك من يرى أن لفظ ثقافة يستعمل للدلالة على قوة الذكاء والفطنة والحذق.

والثقافة، العمل بالسيف، وتقابلها في اللغة الأجنبية culture تعني كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد، والحكم لدى الفرد في المجتمع.[2]

وعليه الثقافة من هذا المنظور تمثل فرع من فروع الاطلاع الواسع في مجالات المعرفة وتكشف جزءا كبيرا عن شخصية الفرد داخل المجتمع أي يستمد منها قيمته، فلكل مجتمع ثقافته الخاصة به تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى وتعكس جانبا مهما من جوانب الحياة المختلفة.

---

[1]- الفيروز بادي: القاموس المحيط، ص 812.

[2]- عبد الله العلايلي: مختار الصحاح في اللغة والعلوم، ط4، دار الحضارة بيروت، 1974، ص 158.

ب- اصطلاحا:

تعددت دلالات وأبعاد الثقافة حيث أصبح من الصعب تحديد مفهوم دقيق للثقافة، فهي مصطلح شديد الغموض حيث لم يتفق علماء الاجتماع والأنثربولوجيا على تعريف واحد، فدار خلاف وجدل حول تحديد معناها وذلك لصعوبة واختلاف مجال الدراسة.

نجد أن مفهوم الثقافة في الاصطلاح أوسع وأشمل من المفهوم اللغوي، يعرف إدوارد تايلور الثقافة على أنها «ذلك الكل المركب الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والتقاليد وكل العادات والقدرات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع »[1] من خلال هذا التعريف يمكن اعتبار الثقافة ذلك الوعاء الذي يضم الجانب المادي المتمثل في مختلف العادات والتقاليد والأعراف والفنون وأنواع المعرفة، وهي بمثابة تعبير عن سلوك إنساني يكتسبه الفرد داخل المجتمع ويساهم في تكوينه ويختص به مجتمع ما عن غيره من المجتمعات الأخرى ويركز صاحب التعريف على مبدأ التواصل بين الأفراد على اعتبار أن الإنسان عنصر اجتماعي، وفي تعريف آخر للثقافة نجد أنها: « مجموعة من العلوم والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان، فتكسبه أسباب الرقي والتقدم والوعي عن طريق التهذيب العقلي والتربية النفسية الخلفية»[2]

تطلق كلمة ثقافة على السلوك الذي يكتسبه الفرد عن طريق التعليم ويمثل سجلا لمختلف ردور أفعال الإنسان والتغيرات التي تطرأ على حياته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأدبية وتساهم في تحقيق الرقي والازدهار والحضارة والتقدم وتحسين الأحوال.

---

[1]- أحمد أبو زيد: يايلر، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ص 19.

[2]- خضر احمد عطاء الله: دراسات في آفاق الفكر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع دبي، 1990، ص 12.

في حين يرى هوفستاد (HOFSTEDE) أن: « الثقافة هي البرمجة الجماعية للعقل الذي يمكنه أن يميز أعضاء إحدى المجموعات البشرية عن المجموعات الأخرى»[1]هنا مصطلح الثقافة يستعمل للدلالة على تلك المنجزات والقيم والأعراف الجماعية التي تميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات الأخرى وهي بمثابة طريقة الحياة تكشف جانبا مهما من جوانب حياة مجتمع ما، فلكل مجتمع ثقافته الخاصة، فلا يمكن أن توجد الثقافة بمنعزل عن المجتمع.

سابير اعتبر أن الثقافة: « نسق اتصال بين الأفراد لدى توضيحه أن موقع الثقافة الحقيقي هو التفاعلات الفردية، وهي مجموعة من الدلالات يتداولها أفراد مجموعة معينة من خلال تلك التفاعلات»[2]

من خلال ما توصل إليه سابير نلاحظ أن الثقافة وليدة التفاعل بين الأفراد والتفاعل بين مجموعات الأفراد.

« الثقافة منظومة متكاملة تضم النتاج التراكمي لمجمل موجات الإبداع والابتكار، التي تتناولها أجيال الشعب الواحد»[3] إن الثقافة تمثل أهم العوامل المساهمة في تصنيف الشعوب والمجتمعات وتميزها عن بعضها البعض وذلك بفضل جملة من الخصائص والأبعاد وتتمثل في القيم والمعايير ويتناقلها أفراد المجتمع جيل عن جيل وتسهم في تحقيق الرقي.

---

[1]- Hofstede, gort Gert Jan Hofsted, culture organisatnois : software of lhe mind, mc Graw Hill inc, new York, 2005, p 4

[2]- sapir, selected writings of Edward sapir in language and personality

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري: آراء وأحاديث في العلوم والأخلاق والثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1985، ص 113.

6- نشأة الرحلة وتطورها:

عرف العرب منذ القديم الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر، نتيجة الحياة البدوية القائمة على أساس الترحال، وذلك من أجل التجارة وضمان الاستقرار وكسب سبل العيش، فكانوا يشدون الرحل بغرض الصيد والتجارة وسعيا وراء الرزق: « وفي السنوات العجاف تلك نجدهم قد هجروا مضاربهم إلى أكناف المدن، وإلى مواضع المياه الشحيحة، وقد تمتد سنوات الجفاف وتعم سائر الإقليم، وعندئذ تضطر القبائل إلى هجر ديارها إلى أرض بعيدة تختارها دار إقامة إلى حين... فقد اشتغلوا بنقل المتاجر عبر فيافي الجزيرة العربية »[1]

الرحلة موجودة منذ الأزل، فقد عرفت قبل مجيء الإسلام وكان الدافع الأول وراء الرحلة هو الرغبة في التخلص من الفقر وتحسين المستوى المعيشي وضمان الراحة والهدوء عن طريق التجارة، فهي موجودة في الثقافات والحضارات القديمة للأمم، حتى قيل أن: « كتاب بوزانايس رحلة في بلاد الإغريق هو المؤثر الأول في، أدب الرحلة، وقد ظهر أثناء القرن الثاني الميلادي، وتوسعوا فيها بعد مجيء المؤرخون والجغرافيون الدين كتبوا في هذا الجنس الأدبي بكتب مستقلة عن بعضها البعض»[2]

ومنذ القرن الثالث هجري عرف أدب الرحلة تطورا وازدهارا كبيرا إلى غاية عصر النهضة، وقد ساهم في ذلك مجموعة من المؤرخين في تطور هذا الفن ومنهم: « المؤرخ المعروف بهشام الكلبي الذي يعد نموذجا للرحالة الخبير بالجزيرة العربية، وقد صنف العديد من المؤلفات أهمها"[3] كتاب الأقاليم "، كتاب البلدان"، البلدان الصغيرة"

---

[1]- د، عبد الفتاح محمد وهيبة: جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع،من الأدب الجغرافي، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1995، ص 51.

[2]- حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وأدبها، كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة دفعة 2009، 2013، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام أباد، باكتسان، ص 36.

[3]- عبد الفتاح محمد وهيبة: جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، من الأدب الجغرافي في الثراث العربي، منشأة المعارف، دط، الاسكندية، 1995، ص 113.

" الأصمعي " " رسالة في صفة الأرض والسماء والنباتات" وتلميذه" سعدان بن المبارك " الذي ألف كتاب " الأرضين والمياه والجبال والبحار».[1]

وتعد رحلة " سلام ترجمان " من أقدم الرحلات في أدب الرحلة: «إلى قزوين يشاهد سد يأجوج ومأجوج، وبدأ رحلته عام 227 هـ، وقد وصل إلى السد، وتفاصيل رحلته موجودة في "المسالك والممالك لابن خرداذبة »[2]

أما في القرن الرابع هجري فقد عرف الإسلام انتشارا واسعا في أنحاء والعالم وذلك عن طريق التنقل، فقد واكبت الرحلة الفتوحات الإسلامية « وتوسعوا لتشمل رحلاتهم ومؤلفاتهم معظم العالم المعروف»[3]

ومن أهم الرحالة في القرن الرابع نجد المسعودي الذي ألف " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ويقول في سبب تأليف الكتاب، « فإنا صنفنا كتاب في أخبار الزمان وقد من القول فيه هيئة الأرض ومدنها، وعجائبها، وبحارها وأغوارها، وجبالها وأنهارها، وبدائع معادنها وأصناف مناهلها وأخبار غياضها، وجزائر البحار والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة والمساكن المشرفة»[4] بالإضافة إلى ابن فضلان وابن سليم الأسواني.

أما في القرن الخامس هجري نجد أشهر الرحالة " البيروني " من كبار العلماء والفلاسفة، بالإضافة إلى ابن بطلان كان: « يرتحل من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى طلبا للعلم والمعارف وسعيا لاكتشاف الجديد في الفكر والطب»[5]

---

[1]- ناصر عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 37.

[2]- حافظ محمد بادشاه: ص 37.

[3]- المرجع نفسه: ص 38

[4]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعدن الجوهر، ج1، موفيم للنشر، دط، الجزائر، غاية، 1989، ص 13.

[5]- حافظ محمد بادشاه: ص 40.

أما في القرن السادس هجري، فقد كثرت فيه الرحلات ويرجع الفضل في ذلك إلى تميز وقوة الرحالة وقيمة الآثار التي خلفوها، ومن بين هؤلاء نجد: « رحلة أبي حامد الغرناطي الإسلامي، حيث قضى فيها أكثر من خمس وعشرون عاما، وتزوج خلال رحلته، ونشر الإسلام، وصنف كتابين هما " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" والمغرب عن بعض عجائب المغرب"» [1]

وقد اشتهر في هذا القرن العديد من الرحالة وأشهرهم الإدريسي في الشام والأندلس ومصر والمغرب وآسيا، اشتهر بكتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

أما القرن السابع هجري فقد حفل بالعديد من الرحالة من بينهم ياقوت الحموي« من أحد الوجوه المضيئة في تاريخ العرب، وكان رحالة وعالما جمع بين المعرف الكثيرة وأبحر في علوم عديدة، ومن أهم انجازاته: " معجم البلدان " معجم الأدباء».[2] وإلى جانب ياقوت الحموي نجد البغدادي، والأديب الفقيه مُحَمَّد العبدري. وقد اتفق العرب على أن الرحلة العربية مدت بأطوار متعددة حتى بلغت أوج الازدهار في القرن التاسع هجري والعاشر هجري ،يعد ابن بطوطة ذلك الرحالة الذي اشتهر حتى صار أسطورة واستطاع أن يتفوق على الغربيين بروحه العملية ونزعته الإنسانية الفاضلة، وتعد رحلته هذه « تحفة النظائر في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار» سجلا لعالم العصور الوسطى، « لتقطع بعد ذلك الرحلة شوطا كبيرا في مستواها الأدبي مع ابن بطوطة وكذلك بما حظيت به من اهتمام عالمي لقيمتها»[3]

---

[1]–حافظ مُحَمَّد بادشاه،: ص 40

[2]– المرجع نفسه: ص 42.

[3]– عمر بن فينة: اتجاهات الرحالة الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ص 133.

أعطى للرحلة قيمتها وهو حالة مثيرة للجدل استطاع أن يقطع مسافة لم يحدث لأحد أن قطعها من قبل، في حين عد كتابه من أهم المراجع في تاريخ الرحلات.

7- أغراض الرحلة:

هل يمكننا القول بأن لو لا تطور الإنسان، وانفتاحه على العالم الآخر بفضل الرحلة لما استطاع أن يحدث تغيير في حياته على وجه الخصوص وعلى عالمه على وجه العموم؟.

تحددت دوافع وأعراض الرحلة من رحالة إلى آخر، كل حسب رأيه وطبيعة رحلته، ونجد فؤاد قنديل بدوره لخص أغراض الرحلة في كتابه " أدب الرحلة في التراث العربي القديم"، ومن بين هذه الأغراض يمكن التفصيل فيما يلي:

1-الدوافع الدينية: يعتبر الدافع الديني والأساسي من وراء الرحلة هو الشوق والتوق إلى زيارة بيت الله لأداء مناسك الحج، وزيارة قبر الرسول « ص» « لتلبية نداء الرحمن وتوبة، وتطهير النفس من الدنس والذنوب أملا في المغفرة، ومن قبيل ذلك التبشير بالدين أو زيارة المقابر»[1]

لقد اعتبر الدين مصدر الرحلة، وهو عمادها وذلك رغبة في تطهير النفس وتنقيتها من الذنوب وطلب المغفرة من الله عز وجل كأن يرتحل الرحالة إلى الأماكن المقدسة من أجل التضرع إلى الله وطلب المغفرة والرحمة، « زيارة قبر الرسول ﷺ والمزارات الدينية الأخرى كالمسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين وقبور الأنبياء والصحابة والأولياء في كل من بغداد ود مشق والقاهرة»[2]

---

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في الثراث العربي، مكتبة الدر العربية للكتاب، ط1، القاهرة ، 1423هـ، 2002م، ص 19.

[2]- نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع هـ ، ط1، دار الأمون لنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص 27.

2-دوافع عملية أو تعليمية: يقول الرسول« ﷺ»: «... ومن سلك طريق يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ».[1]

الغرض من الرحلة من هو الاستزادة من العلم في منطقة أخرى في مختلف المجالات كالطب والفقه والهندسة الخ... كما نجد أيضا الفقهاء والعلماء يشدون الرحال من أجل التأكد من صحة الحديث النبوي.

ويبقى دوما الغرض هو طلب العلم والرغبة في التعليم واكتساب العلوم والمعارف، يقول ابن خلدون: « الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال».[2]

3-دوافع سياسية: « كالوفود والسفرات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي، وتوطيد العلاقات أو مناقشة شؤون الحرب والسلم أو تمهيد الفتح أو غزو»[3]

يتمثل الجانب السياسي من الرحلة في توطيد العلاقات بين الملوك والأمراء والحكام، ومناقشة الأمور السياسية عن طريق البعثات التي يقوم بها الحكام على دول وحكام أخرى من أجل الأخذ بالآراء ونشر السلم.

4-دوافع سياحية وثقافية: « تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء، والمناظر وتحديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة، والبشر، واكتشاف الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعريف المعالم الشهيرة، كالآثار والمنارات والأبراج والكهوف والغرائب والعجائب»

---

[1]- محي الدين أبي زكريا يحي بن شوفا لنوري: صحيح مسلم بشرح النووي، تح: مُحَّد بن عبد الرسول، ج 17، 18، مكتبة أبو بكر الصديق، ط1، القاهرة، 2006، ص 21.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 226.

[3]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20

يغلب على الإنسان طابع حب المعرفة والرغبة في الاستطلاع والاستكشاف، والانفتاح على العالم الآخر، واكتساب الخبرة، والتعرف على عجائب وغرائب البلاد ومختلف الآثار ومعرفة طبيعة البشر وطريقة العيش والتعامل والرغبة في التحرر والتمتع بالحياة.

5-دوافع اقتصادية: « للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو جلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، وتندر في لبد المسافر، وقد يكون هربا من الغلاء، وسعيا وراء الرخص والسير والوفرة والعمل».

لم تعمل الرحلة الجانب الاقتصادي، بل كان الرحالة يرتحلون من أجل التجارة وتبادل السلع والبضائع، والبحث عن الغرض للعمل، وذلك للسعي وراء تحسين المستوى المعيشي وضمان العيش الرغيد ،وتأمين سبل المعيش والكسب والرزق.

6-دوافع صحية: «كالسفر للعلاج والاستشفاء، أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكرد، كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها وقد يكون الهروب من وباء وطاعون وتلوث » يسافر الإنسان من أجل تلقي العلاج والشفاء وقد يسعى للنفور من الأمراض والألوية الخطيرة لتفادي الإصابة وانتقال العدوى. [1]

لم تقتصر الرحلة على الدوافع هذه فقط، بل هي عديدة لا تعد ولا تحصى فلكل رحالة دوافعه وأعراض كانت سبب في رحلته.

وقد لا نبالغ إذا ما قلنا أن هناك أسباب أخرى للارتحال كالسخط على الأحوال والأوضاع المزرية، وضيق العيش، أو الهروب من عقوبة، أو الضمان الاستقرار والهدوء.

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20

8- خصائص أدب الرحلة:

-تميز أدب الرحلات مجموعة من الخصائص والمميزات، ذات قيمة بالغ الأهمية ولعل أبرز هذه المميزات تتجلى في ما يلي:

- يقول د حسني محمود حسين: « موادها تعرض أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب وترقي بها إلى مستوى الخيال الفني »[1]

-أهم ما يميز أدب الرحلة أن مادتها تتميز بالتنوع والشمول، تشمل مختلف المجالات الحياة، تختلف وتتنوع أهداف ودوافع الرحالة، فمنهم من يرتحل من أجل طلب العلم ومنهم من أجل التجارة.

-التنوع في الأسلوب، اختلف الرحالة في الأساليب فمنهم من مال إلى السرد القصصي والبعض الآخر إلى الحوار إلى الوصف وغيره.

- التشويق والمتعة.

-أهم ما يميز أدب الرحلة وجود ثقافتين مختلفتين من أجل إبراز أوجه الاختلاف وحدوث التأثير والتأثر.

-الوصف: الرحالة يقوم خلال رحلته بوصف كل ما شاهده وترك فيه انطباع فينقلها للناس من أجل التأثير فيهم وحدوث التفاعل.

-الواقعية: فالراوي رجل واقعي عاش في زمان ومكان معروف، كما أن الأماكن التي يصفها لها وجود وحقيقية الأشخاص الذين عايشهم حقيقيون.

---

[1]-فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 23.

-الحاكي بضمير المتكلم مفردا كان أو جماعة: والملاحظ في كتابات الرحالة أنها من إنتاج الذات، والرحالة وحده هو المتصرف فيها وهو المؤلف نفس هيمنة بنية السفر.

9- أدب الرحلة والفضاء:

يعتبر الفضاء من أهم المصطلحات الجغرافية التي اعتمد عليها الرحالة خلال رحلته، ويظهر ارتباط الفضاء بأدب الرحلة واضحا وجليا، ويعتبر عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه: « نجد نصوص جغرافية كثيرة، متنوعة اندرج أغلبها في سياق تجاري أو عملي، فدونت نصوص رحلية تهتم بالجانب الجغرافي، البري أو البحري وذلك بوصف الطرق والمسالك ومعالم البلدان، والمركز والآثار»[1]

اهتم الرحالة خلال رحلتهم بالجانب الجغرافي، فقاموا بوصف الطرق والمسالك ومعالم البلدان، وقاموا بإحصاء السكان، وتدوين الآثار في مختلف الأقطار، فيقوم بتسجيل وتدوين: « مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض إنما يعمل في خدمة علم الجغرافيا، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك، وعندما يتحدث عن الطبيعة والمناخ وظاهرة توزيع السكان وغير ذلك مما يعد من صميم الدراسات الجغرافية»[2] نجد أن الرحلة تمثل مرجعا أساسيا لعالم الجغرافيا ولموضوع دراسة بشكل خاص وبدورها تعطي سجلا لمختلف الظواهر من خلال وصف الرحالة للأقاليم وإحصاء السكان ودراسة المناخ السائد والمسالك والممالك والطرق، وكل هذا يقوم الرحالة بتسجيله خلال رحلته.

[1]-حليفي شعيب: الرحلة في الأدب العربي، ص 58.

[2]- حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1973، ص 7.

« قد ارتبطت الرحلة بالجغرافيا في إطار منظومة تجمع عدة أشكال، متنوعة منها اتجاهان أساسيان: الأول يولي وجه شطر العلوم، في حين الثاني وجهه جهة الأدب الفني ».[1]

لم يقتصر ارتباط أدب الرحلة بجانب فقط، بل تعدى ذلك إلى جانبين اثنين الجانب العلمي من جهة والجانب الأدبي من جهة أخرى ،هذا أن الرحلة لم يكن هدفها علمي بالدرجة الأولى تقتصر على الجانب العلمي فقط بل تجاوزت ذلك إلى الجانب الذي اعتمد فيه الرحالة على تسجيل الانطباعات والمشاعر فجنح إلى نوع من الخيال، وترك بصمته الأدبية من أجل إثارة التفاعل والتأثير في نفسية القارئ.

ونجد الرحالة ابن بطوطة قد تحدث عن جغرافية مكة فيقول: « هي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة في بطن واد، تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها، وتلك الجبال المطلقة عليها ليست بمفرطة الشموخ».[2]

قام ابن بطوطة بوصف مكة خلال رحلته وصفا جغرافيا، فوصف الجبال والبنيان.

« يختلط أدب الرحلة مع أدب الجغرافيا، لأن الجغرافيين مجمل كتاباتهم شكلا من أشكال الرحلة تصور أحوال الناس والعمران، فقد عنيت الجغرافيا بوصف البر و البحر، والأمم والبلدان، فظهرت الرحلات البحرية للتجار والملاحين... فكانت هذه الرحلات ذات أسلوب قصصي بديع يؤكد الواقع أحيانا ويشيد عوالم خيالية أحيانا أخرى»[3]

---

[1]– أغناطيوس كراتشكو فسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 1987، ص 20.

[2]–ابن بطوطة مُحَّد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، نقد مُحَّد السويدي، دار صادر، بيروت، دط، الجزائر، 1989، ص 31.

[3]– شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1956، ص 5.

شكلت مجمل كتابات الجغرافيين شكل من أشكال الرحلة، حين قامت بتجسيد وتصوير أحوال الناس، فوصفوا البرد البحر والبلدان، إلى جانب ظهور الرحلات البحرية للتجار وهذه الرحلات أخذت الطابع القصصي المعبر عن الواقع في بعض الأحيان والبعض الآخر يشيد عوالم خيالية.

9- أدب الرحلة والتاريخ:

إذا كان أدب الرحلة يقوم برصد الواقع عن طريق تسجيل الرحالة لكل ما يراه وصادفه في بلاد مختلفة من مختلف المشاهد ولآثار والعادات والتقاليد، حيث يقوم بنقل كل ما من شأنه أن يثير التفاعل ويملأ النفس متعة وتأثيرا ويحقق التأثير الوجداني، فإن التاريخ يقوم برصد وتسجيل تاريخ البلدان في مختلف المجالات.

وقد افتتح احمد بن هطال " رحلته بالحديث عن التاريخ قائلا: « أما بعد فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا، وأكملها محاسنا وفخرا، وفي ذلك إعلان صريح لارتباط الرحلة بالتاريخ، وارتباط التاريخ بالحكي بل إن الرحلة ولدت في حضن التاريخ والجغرافيا... حتى أنه يمكن اعتبار تاريخا بشكل ما، ولم تسلم الرحلات من اللجوء إلى التاريخ والاستشهاد بفقرات طويلة منه»[1]إن حضور التاريخ في الرحلة أمر طبيعي، ويستلزم وجوده، فلا وجود لرحلة بدون تاريخ، فكل منهما وجهات لعلمه واحدة.

تبقى الرحلة بالدرجة الأولى مصدرا مساعدا للمؤرخ يعتمد عليه في تحليل الوثائق التاريخية والتأريخ لها، لحفظ تاريخ الأمم والبلدان من الضياع. « قامت الرحلة بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة»[2]

---

[1]- حليفي شعيب: الرحلة في الأدب العربي، ص 56.

[2]-زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، د ط، بيروت، لبنان، 1981، ص 35.

هنا المؤرخ لا يمكن له أن يخطي خطوة دون الرجوع والاعتماد على الرحلة فهي مرجع لاغني عنه، تقدم معلومات مهمة في مجال التاريخ وتفتح له المجال أمامه للخروج من الضيق والتوسع والتعمق.

«تقدم الرحلة صورة تاريخية لمدة نابضة بطبيعة العصر الذي عاش فيه الرحالة.. فالرحلة تجسد بعض الحقائق المعرفية عن المرحلة التاريخية التي عايشها الرحالة»[1]

صحيح أن الرحلة تساعد وتقدم له المعلومات والحقائق ،إلا أننا لا يمكن أن ننسى دور الرحالة في تسجيل وتدوين مختلف المعلومات والأحداث والمعارف.

« إن كل النصوص الرحلية بنيات كاملة، يؤرخ فيها المرتحل للفترة التاريخية التي استغرقتها رحلته، فضلا عن الأحداث التي عاصرتها من منظور يعتمد على المعاينة والقراءة والتأويل، والسماع... فتتحول الرحلات في بعض مقاطعاتها إلى تاريخ خاص، وحوليات يتم فيها تبئير عين الرحالة ويعطيها الطابع الذي يتوخى السارد رحلته للقارئ»[2]

يقوم الرحالة بتسجيل الفترات التي استغرقتها رحلته وتاريخها، كما يقوم بتدوين الأحداث التي عايشها من منطلق القراءة والتأويل والتحليل والمعاينة لتأخذ هذه الرحلات في الأخير طابع التاريخ الخاص.

11- أدب الرحلة والثقافة:

إذا كانت الثقافة هي: « كل ما يصفه الإنسان في حياته العامة وكل ما ينتجه العمل البشري من أشياء

[1]- فردوس احمد بث: أهمية أدب الرحلات من الناحية العلمية والتعليمية، مجلة اللغة، العدد3، مارس 2017، ص 77.

[2]- حليفي شعيب: الرحلة في الأدب العربي، ص 58.

ملموسة، وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم »[1] فإن أدب الرحلة هو وصفا لعادات وتقاليد الشعوب، الرحالة بدوره يسافر من اجل الاستكشاف والاطلاع على ثقافة الآخر ورصد أخباره وأحواله: « الرحلة نوعا من الحركة ومن مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض الجوانب الحياة الإنسان اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرحالات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيف للإنسان وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين».[2]

تساعد الرحلة على الانفتاح على العالم والاختلاط بالشعوب، حيث مثلت مصدرا أساسيا من مصادر المعرفة ساعدت على معرفة أحوال الشعوب ومختلف العادات، فمهما كان نوع الرحلة وهدفها، إذ لا بد من وجود وصف لثقافة الآخر، من خلال ما يقدمه الرحالة ومقارنته لثقافة عصره ليفتح المجال أمام الشعوب والأمم لمعرفة حياة الآخرين بهدف احداث التفاعل والتثقيف، إذ لجأ « إلى استخلاص أسلوب الحياة في البلدان التي قصدها من خلال استقراء وتحليل القيم والأفكار والجوانب المادية والروحية التي تشكل بدورها الأسلوب الحياتي للناس ومعاملتهم...فجاءت الرحلات مصدرا هاما لوصف الثقافات الإنسانية».[3]

يقول الرحالة بجمع مختلف العادات والتقاليد التي يصورها خلال رحلته ويقوم بتحليلها ويقارن بينها وبين ثقافته، ليكشف الاختلاف الموجود بينهما ويبرز سمات وخصائص كل ثقافة وجاءت الرحلة لتمثل مصدرا أساسيا وهاما لوصف الثقافة مختلف الشعوب وعكست واقع أحوال الشعوب وعاداتهم بصورة واضحة.

---

[1]- أحمد أبو زيد: محاضرات في الأنثربولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، بيروت، 1978، ص 47.

[2]- النساج سيد حامد: مشوار كتب الر حلة، قديما وحديثا: مكتبة غريب للطباعة، د ط، القاهرة، 2007، ص 8.

[3]- نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلة الأندلسية والمغربية، ص 315.

يظهر التنوع الثقافي بين الشعوب بتنوع أدب الرحلات وهذا التنوع بدوره يبرز التنوع والاختلاف بين الشعوب والأمم ويبين لكل بلد ثقافته الخاصة وطبائع الناس وعاداتهم وطريقة عيشهم وكل هذا بهدف تمكين الناس من معرفة ثقافة الغير لتسهيل الاختلاط والاحتكاك بهم وأحداث التفاعل معهم.

لتكشف الرحلة بذلك: « الانتماء إلى ثقافة الذات والفهم لثقافة الآخر والانفتاح عليه، مبرزة الترابط بين كل العناصر البشرية والثقافية في البلدان التي زارها الرحالة»[1] تساعد الرحلة الإنسان في الكشف عن التمايز والاختلاف الموجود بين الأمم المتعلق بالجانب الثقافي، فلكل مجتمع عادات وتقاليد خاصة تميزه عن غيره، وأحيانا ما نجد ذلك الاختلاف موجود داخل المجتمع الواحد، ليوضح الرحالة في الأخير ذلك الترابط بين العناصر البشرية في مختلف بلدان العالم التي زارها.

تمثل كتب الرحلات مصدرا لكثير من علماء الاجتماع، تتناول مجموعة من الآثار الأدبية تصف أحوال البلاد المختلفة من عادات الناس وتقاليدهم ومختلف مظاهر الحياة الاجتماعية من مأكل وملبس ومشرب، ونجد بعض الرحالة من أشار في رحلاتهم إلى بعض العادات والتقاليد أمثال ابن جبير منها: « ضرب الطبول في أوقات الصلاة وابتداء لموسم الحج لأصل الحجاز»[2]

في الأخير نستنتج أن أدب الرحلة هو سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة العامة، استطاع الرحالة أن ينقله إلينا بعد رصده وتسجيله لمختلف المشاهدات التي لفتت انتباهه خلال رحلة قام، محاولا اكتشاف ما يحيط به من أسرار الكون ليمثل دليلا ومصدرا هاما.

---

[1]–المرجع نفسه ص 317.

[2]– ابن جبير: رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت، دط، 1988، الجزائر، ص 8.

فاستفاد منه عالم الجغرافيا وعالم التاريخ وعالم الاجتماع كل حسب تخصصه، وإجمالا لا يمكن إنكار تلك الصلة الوطيدة بين أدب الرحلات والجغرافيا والتاريخ والاجتماع، هذا الارتباط يظهر جليا بوضوح.

شكل أدب الرحلات نقطة انطلاق مهمة لعالم الجغرافيا والاجتماع والتاريخ، من خلال تقديم المعلومات القيمة والنادرة في شكل كتب احتوت على العديد من الأحداث والوقائع التي توسع من دائرة الفكر وتفتح الباب على مصرعيه أمام العلماء والدارسين.

الفصل الثاني:كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان

1- التعريف بالكاتب:

أ- التعريف بالحسن الوزان:

هو الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفارسي، ولد بمدينة غرناطة، اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته، فأرجعها البعض إلى عام 901هـ/ 1495م، والبعض الآخر إلى عام 906هـ/ 1500م، ومن خلال ما ورد في كتاب وصف إفريقيا من تواريخ نرجح أن الوزان ولد حوالي عام 888هـ/ 1483م أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات.[1]

"ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية وتمتد أقصى غرب البلاد عبارة عن سلسلة جبال الريف المغربية، بين ساحل البحر المتوسط ومجرى وادي لاو القريب من مدينة شفشاون وتطوان » [2].

انتقل إلى فاس وهو صغير واستقر فيها مع عائلته وتعلم فيها النحو والأدب والشعر والتاريخ والفلسفة والشريعة، على يد كبار وأعلام القرويين كان يعيش في سعة ورغد في قصر بالقرب من تلك المدينة المغربية واشتغل في حداثته بالتوثيق في "مارستان" في فاس.[3]

عمل منذ صغره على جمع الضرائب من قبائل المغرب الأقصى، وزاول وظيفة كاتب معتمد في بيمارستان الأمراض العقلية من مستشفى فاس"[4].

---

[1] – الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، مُحَمَّد الأخضر، مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص 7.

[2] – المرجع نفسه:ص 6.

[3] – الجريدة من أمين معلوف إلى ناتالي ديفيس..... هوية ليون الإفريقي الضائعة، 2008، 10- 12/ 00:00، ص 2.

[4] – مُحَمَّد عبد الخالق مُحَمَّد فضل وآخرون: الموسوعة الغربية العالمية، ج 21، الرياض ،المملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999.

مارس بعض الأعمال السياسية، قام بعدة رحلات داخل المغرب وخارجه.

عمل في الديوان مع "الوطاسين على عهد مُحَّد الشيخ أبي زكرياء وعهده ولده مُحَّد الشيخ البرتغالي**** وقام بعدة رحلات في شؤون إدارية"[1]

كانت أول رحلة له في أنحاء المغرب وأواسط إفريقيا، رافق فيها عمته إلى تمبكتو** عام 910هـ/ 1504م، وكان عمره آنذاك حوالي 17 سنة.

كان ينضم القصائد ويكتب الأشعار، "عمل كمدرس للغة العربية في روما خاصة من رجال الكنيسة ولعامة الطلبة في مدرسة بولونيا في عصر النهضة الأوروبية"[2].

هو شخصية عربية مغربية إسلامية "اعتمده الغربيين المسحيين كمصدر أساسي عن إفريقيا، طوال العصر الحديث، أما المسلمون فلم يعرفوا عنه شيء وأغفلوا عالمهم الوزان"[3]

تردد الوزان كثيرا على قصور أمراء بلاد المغرب، كما شارك معهم في عدة حملات حربية.

" أنا الحسن بن مُحَّد الوزان أنا جان. ليون ميدسيس، ختنت على يد حجام، وعمدت بيد البابا، يدعونني الآن الإفريقي، بيد أني لست من إفريقيا أو أوروبا أو بلاد العرب ويطلقون علي أيضا: الغرناطي والفاسي والزياتي، ولكني لم أصدر عن أي بلد أو مدينة أو قبيل، أنا ابن السبيل، وطني قافلة، وحياتي لا يمكن ترقبها من أية مفازة، وحياة غيري ترتقب..." [4]

---

[1] – عبد القادر العافية: كتاب وصف إفريقيا، مجلة دعوة الحق، د 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،بالثقافة والفكر،العدد207،1957،ص3 .

[2] – الحسن بن مُحَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص 12.

[3] – المرجع نفسه، ص 5.

[4] – أمين معلوف: ليون الإفريقي، تر: عفيف دمشقية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص9.

من خلال هذا القول الحسن الوزان يعلن عن عدم انتمائه إلى أي بلد أو فضاء، فشخصيته متعددة وهذا ما يبرز تعدد الفضاءات "فالحسن في المغرب مغربي، وفي تونس يرتدي اللباس التونسي." [1]

إن الحسن الوزان ذو شخصية متعددة الأبعاد تتغير بتغير الفضاء، "فالحسن لا ينشغل بذاتيته وهمومه إبان اغترابه، إنه يعيش حياته في فضائه الجديد، كما كان يعيشها في فضاء آخر يحب ويهوى،... يتعرف على مختلف جوانب هذا الفضاء، منقبا وباحثا." [2]

يقوم بتسجيل كل ما يراه وينقله عن أهل البلد الذي زاره، ولهذا كانت الرحلة عنصرا مركزيا في مجرى الحكي، فإن الشخصية في ظل هذا العنصر تزداد خصوصية وثراء، ونلاحظ فعلا أن "شخصية الوزان عاشت حياة مليئة بالتناقضات والمغامرات وعايشت أعصرا حبلى بالأحداث التاريخية الكبرى سواء في الشرق أو الغرب." [3]

وفي سنة 1518/ 929: "سقط أسير وهو نحو الثلاثين من عمره وأهداه القراصنة الذين أسروه للبابا "ليون العاشر، في روما"[4]، مكث هناك نحو اثنتي عشرة سنة، ألف خلالها عدة كتب ثم استطاع الإفلات نحو سنة 1530م، فتوجه إلى تونس وعاد لدينه وحريته، توفي سنة 957هـ/ 1550م، وهو نحو الخمسين من عمره ويظل الغموض يكتنف المرحلة الأخيرة من حياته.

---

[1] – سعيد يقطين :الرواية و التراث السردي ،ص64.

[2] – المرجع نفسه، ص65.

[3] – المرجع نفسه، ص 64.

[4] – عبد القادر العافية: وصف إفريقيا، ص 3.

ب– مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات منها: صنف سلم من الضياع فوصل إلينا، وصنف لم نعرف عنه غير الاسم ومن بين المؤلفات الباقية نذكر:

1- معجم عربي عبري لاتيني: ألفه من أجل الطبيب اليهودي "يعقوب بن شمعون"، ولا يزال مخطوطا بمكتبة الأسكو ريال باسبانيا.

2- كتاب التراجم باللاتينية: ذكر فيه ثلاثين شخصية بارزة من فلاسفة العرب وأطبائهم، نشر في زوريخ سنة 1664.

3- الجغرافية العامة: باللغة العربية، وهو كتاب ضخم، إلاّ أنه ضاع ولم يبق منه غير القسم الثالث- ترجمه الوزان إلى الإيطالية واعتمد عليه في كتابه وصف إفريقيا.

4- كتاب تاريخ إفريقيا الحديث.

5- مختصر تاريخ الإسلام.

- أما المصنفات الضائعة منها:

1- أشعار الأضرحة: حيث جمع فيه مختلف أشعار الوعظ والزهد، مما وجده مكتوبا على الأضرحة والقبور في أقطار المغرب التي زارها.

2- كتاب في الفقه المالكي: أشار إليه في كتاب وصف إفريقيا كما أشار إلى مؤلفات أخرى في الأعياد الإسلامية وقواعد اللغة العربية والشعر.[1]

2- التعريف بكتاب وصف إفريقيا

يعتبر كتاب وصف إفريقيا من تأليف عالم عربي مسلم، اضطرته ظروفه للعيش في روما، كتبه باللغة الايطالية وترجم إلى اللغة العربية «ألف الحسن بن مُحَمَّد الوزان هذا الكتاب سنة 933هـ/1526م بعدما قضى ثمانية أعوام من الإقامة في ايطاليا، في منتصف العقد الثالث من القرن السادس عشر ميلادي»[2].

يُعد هذا الكتاب من أهم المصادر في التعريف بإفريقيا، وفي مضمون كتابه هذا ذكر أنّه ذو أصل عربي مغربي، وتفكير أوروبي، قام بكتابته باللغة اللاتينية في إيطاليا، وقد اعتذر عن الأخطاء التي تقع في كتابه، كونه: «كتب معظم فصول أجزاءه اعتماداً على ذاكرته وكذلك اعتماداً على الملاحظات التي سجلها خلال جولاته الإفريقية»[3].

لقد اعتمد الوزان على علق في ذهنه ممّا رآه وشاهده خلال رحلاته، وهذا يفسر بدوره خلوه من النقل الحرفي على عكس غيره مادة كتابه مستوحاة من خبرته الشخصية في الحياة ومشاهداته والملاحظات التي علقت في ذهنه، بالرغم من «نزاهة المؤلف وحياده التام في كل ما كتبه غير متأثر بعاطفة قرابة أو دين أو وطن... غير أنّ ذلك لم يعصمه من الوقوع في هفوات جغرافية وتاريخية صارخة»[4].

---

[1] - الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ص 101.

[2] عبد القادر العافية، كتاب وصف إفريقيا، مجلة دعوة الحق، ص3.

[3] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، جريدة الحياة، موقع اللغة والثقافة العربية، بيروت، العدد1، 1946، ص2.

[4] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص18-19.

التزام الوزان الموضوعية والحياد التام خلال توثيقه لكتابه تبعاً لما رآه وشاهده، كتابه هذا يعد من أثمن المصادر يحتوي على عدد ضخم من الأخطاء نتيجة أسباب عديدة أهمها «غيبة المصادر عنه وبعد عهده بالأماكن التي تحدث عنها على افتراض أنّها لم تكن مسجلة في مذكراته»[1]، وهذا لم يكن أمينا كل الأمانة، ارتكب أخطاء جغرافية وأخرى تاريخية.

نشر "زاموزيو" كتابه "وصف إفريقيا" سنة 1550م/957هـ في مدينة البندقية، أي قبل 441هـ، بعد فراغ الحسن الوزان من تأليفه في فترة لا تزيد عن أربعة وعشرين عاماً، في جملة رحلات جغرافية وأهداه لشخصية علمية وسياسية كبيرة، هو "جيروم فراكاستور" قام "جان فلوريان" بنشر ترجمة لاتينية لكتاب وصف إفريقيا، ونشر "جان تامبورال" في فرنسا ترجمة فرنسية له، اعتبرت الترجمة اللاتينية عديمة القيمة وخالية من أي نفع أو فائدة، في حين أنّ الترجمة الفرنسية تبدو ذات قيمة.

«كما ظهرت الترجمة الفرنسية يقلم "جان طانبورال" والانجليزية سنة 1008هـ/1600م، والألمانية سنة (1219هـ/1805م) وبعد ذلك صدرت الطبعات الكاملة له بالفرنسية على يد شيفر سنة (1315هـ/1898م) وعملت الباحثة الايطالية أنجيلا كاردوزا على نشره باللغة الايطالية في طبعة محققة»[2].

وضع لكتاب وصف إفريقيا ترجمتان "إحداهما في السعودية قام بها عبد الحميد حميدة (1399هـ/1979م)، والثانية من ترجمة مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضري بالمغرب الأقصى في جزأين وفي طبعتين الأولى سنة 1981م، والثانية سنة 1983م، عن دار الغرب، بيروت، وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

---

(1) الحسن بن مُحَمَّد الوزان:وصف إفريقيا،ج1، ص19.

(2) الطاهر خالد: مساهمة الوزان في تأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 4، سبتمبر 2017، ص53.

يتألف كتاب وصف إفريقيا في صياغته الأولى من تسعة أجزاء أو كتب جعل أولها عبارة عن كتب مسهمة حول علم الجغرافيا والترحال ومشاهدة البلدان الآخرين، أوضح تدقيقات تتعلق بجغرافية إفريقيا العامة من مناخ، وخصائص شعوبها وأخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وقد جزأ فيه إفريقيا تجزيئاً عمودياً إلى أربعة أجزاء:

«أ- بلاد البربر شمال جبال الأطلس الممتدة من تخوم مصر شرقا إلى المحيط الأطلنطيين غربا.

ب- بلاد الجريد ويطلق عليها اسم نوميديا.

ج- الصحراء الكبرى المترامية بعد بلاد الجريد.

د- بلاد السودان»[1].

قام بتقسيم كل جزء من هذه الأجزاء الأربعة بدوره إلى عدة أقسام أخرى باعتبار الاختلافات الموجودة والفوارق الطبيعية.

أمّا الأقسام السبعة التالية من الكتاب فصل فيها هذه الأقسام الأربعة الأصلية وأقاليمها الفرعية، أمّا الفصل التاسع فقد ذكر الظواهر الجغرافية العامية لإفريقيا من أنهار وحيوانات ونباتات.

يعدّ كتاب وصف إفريقيا مصدراً مهما يزود الباحثين بمعلومات مهمته عن ثقافة وحضارة شعوبه وأحوالهم. «أتتجه في ظل النهضة الأوروبية ساهم في تسليط الضوء على مراحل حياته الغامضة مع بداية العصر الحديثة»[2].

[1] الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، ص15.

[2] الطاهر خالد: مساهمة الوزان في التأريخ ببلاد السودان، ص49.

أعطى كتاب وصف إفريقيا صورة مفصلة عن إفريقيا، لقد استفادوا من معلوماته في تصحيح الخرائط وضبطه كل ما يتعلق بإفريقيا.

3- أهداف تأليف الكتاب:

قام الوزان بالعديد من الرحلات في أنحاء العالم، في أثناء عودته من إحدى الرحلات من تونس عام 1519، وقع أسير بواسطة أحد مراكب القراصنة في جزيرة "جربه"، فأخذوه إلى روما وقدم هدية للبابا "جون ليون العاشر" في مدينة نابولي الإيطالية، فقام البابا برعايته وأحسن وفادته وأثنى عليه كثيرا ومنحه مرتبات جيدة كي يضمن عدم مغادرته، فتعلم الإيطالية وأصبح مدرس اللغة العربية تمت تسميته بـ "ليون الإفريقي".

ألف الوزان كتابا في الجغرافيا اعتماداً على مذكراته المكتوبة بالعربية ولما رآه البابا يهتم بالقضايا الجغرافية وأنّه سبق أن ألف كتابا يحمله معه أكرمه ودعاه إلى اعتناق النصرانية فأقام مدة طويلة في روما، حيث كان البابا حريص على أن يتعرف على أحوال إفريقيا عموما والإسلام في الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط خصوصاً.

وهو ما شجع الوزان على كتابه مؤلفه "وصف إفريقيا".

4- أقسام الكتاب:

القسم الأول: وصف إفريقيا وما فيها من أشياء تستحق الذكر.

القسم الثاني: مملكة مراكش.

القسم الثالث: مملكة فاس.

القسم الرابع: مملكة تلمسان (الزيانيين).

القسم الخامس: مملكة بجاية ومملكة تونس (الحفصين)

القسم السادس: نوميديا.

القسم السابع: بلاد السودان.

القسم الثامن: مصر (المماليك).

القسم التاسع: الجانب الطبيعي.

5- طبيعة إفريقيا:

يعود أصل كلمة "إفريقيا" وهو اسم باللغة العربية، مشتق من الفعل فرق، وقد اختلف في أصل هذه التسمية وبرز رأيان متناقضان: الأول يرى أنّ أصل تسمية إفريقيا كونها جزء مفصول عن أوروبا من جهة وجزء من آسيا بالبحر المتوسط، في حين الرأي الثاني يرى أنّ أصل تسمية إفريقيا مشتق من «إفريقش»[1]، نسبة إلى ملك اليمن وهو أول من سكن هذه البلاد، بعد أن هزم الملك في معركة مع آشور وطرد من مملكته ولم يتمكن من العودة إليها، فعبر النيل متجها إلى الغرب إلى أن وصل إلى ضواحي قرطاج، لهذا فإنّ العرب يعتبرون إفريقيا ما هي سوى ضواحي قرطاج ذاتها، ويطلقون على مجموع إفريقيا اسم المغرب، قسم الوزان إفريقيا إلى أربعة أقسام: بلاد البربر، نوميديا، ليبيا وبلاد السودان.

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص27.

القسم الأول: (بلاد البربر) يبدأ من جبل معيز شرقا وهو آخر بروز من جبال الأطلس على مسافة ثلاثة آلاف ميل تقريبا من الإسكندرية والبحر المتوسط شمالا ابتدءا من جبل معيز إلى أعمدة هرقل وغربا من هذا المضيق حتى آخر بروز من جبال الأطلس وتنتهي جنوبا قرب جبال الأطلس.

أمّا القسم الثاني (نوميديا): تبدأ شرقا من الواحات وهي مدينة على مسافة مائة ميل من مصر وغربا حتّى نون الواقعة على ساحل المحيط، شمالا حتّى جبال الأطلس على السفح الجنوبي وصحاري ليبيا جنوبا، تسمى بلاد النخيل تنتج التمور لأنّ لها جميعاً نفس الموقع.

أمّا القسم الثالث (ليبيا): تمتد شرقا من تخوم الواحات كي تمتد غربا حتّى المحيط، وتتاخم نوميديا شملا وجنوبا بلاد السودان ابتداءً من مملكة ولاته شرقا والتي تقع على المحيط، أمّا القسم الرابع والأخير (بلاد السودان فيمتد من شرقي مملكة كاوكا ويستمر غربا حتّى مملكة ولاته، وشمالا صحراء ليبيا، تنتهي جنوبا في أمكنة نجهلها«»[1].

قام الوزان بتحديد الموقع الجغرافي لإفريقيا حسب رأيه فيقول:

«يحدها شرقا النيل ابتداءً من روافد بحيرة "كاوكا" جنوبا وحتّى مصب هذا النهر في البحر الأبيض المتوسط وتمتد غربا حتّى أعمدة هرقل وتمتد غربا من هذا المضيق إلى نون، وهي آخر موقع من ليبيا على المحيط، وتبدأ إفريقيا من الجنوب من رأس نون وتمتد على طول المحيط الذّي يحيط بها حتّى صحراء كاوكا»[2].

---

[1] ينظر: الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، تر: محمّد الأخضر، محمّد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص28، 29.

[2] المرجع نفسه:ص27-28.

كما تطرق إلى أصول الأفارقة، حيث نخص مسألة ما زالت تشغل بال المؤرخين، فرغم وجود شعوب عديدة إلاّ أنّها تختلف أشد الاختلاف من حيث النوع البشري، إذ تعتبر إفريقيا موطن الإنسان القديم، ينحدر سكانها من أجناس متباينة- إلاّ أنّ الجغرافيون والمؤرخون اعتبروا إفريقيا قديما خالية من السكان، فاختلفوا كثيرا في أصل الأفارقة فنجد منهم من يرى أنّهم: «ينتمون إلى الفلسطينيين الذّين هاجروا إلى إفريقيا حيث طردهم الآشوريون»[1]، فأقاموا بها لجودتها وخصوبتها في حين البعض الآخر يرى أنهم: «ينتمون إلى السبئيين (الحميريين) كانوا يعيشون في اليمن قبل أن يطردوا منها قبل الآشوريون»[2].

في حين فريق ثالث يرى أنّهم كانوا يسكنون بعض جهات آسيا الذين اضطروا إلى الهروب إلى الإغريق بسبب حروبهم مع شعوب معادية، ورغم ذلك فقد تبعوهم إليها فاضطروا إلى عبور بحر المورة واستقروا بإفريقيا. هذا فيما يخص أصل الأفارقة البيض الساكنين في بلاد البربر ونوميديا، أمّا بخصوص أصل الأفارقة السود فهم من نسل كوش بن حام بن نوح.

وبالرغم من وجود هذه الاختلافات في الأجناس والمظاهر بين الأفارقة إلاّ أنّ ذلك لا ينفي كون الأفارقة تقريبا لهم نفس الأصل.

كما أشار إلى وجود أصناف للعرب الذّين يسكنون إفريقيا، فقسمهم إلى ثلاث قبائل وهي حكيم وهلال ومعقل وكلّ هذه القبائل الثلاث تنقسم بدورها إلى فروع أخرى.

- حكيم: تنقسم إلى ثلاث فروع: أتبج، سميت وسعيد.

---

[1] الحسن بن محمّد الوزان:وصف إفريقيا، ج1 ص35.

[2] المرجع نفسه :ص35.

- هلال: تنقسم إلى أربعة: بني عامر، رباح، وسفيان، هوزان.

- معقل: تنقسم إلى ثلاثة فروع: مختار وعثمان وحسان.

كما وضح أعمار الأفارقة وقارنها بالأجناس الأخرى فذكر أنّ سكان بلاد البربر يحمرون حوالي خمسين وستين إلى سبعين عاماً، أمّا سكان الجبال فيعمرون كثيرا بشية تبلغ مائة سنة أو يتجاوزها أحيانا.

أمّا سكان نوميديا فهم يعمرون طويلا إلاّ أنّهم يفقدون أسنانهم ويضعف بصرهم فأرجع الوزان سبب سقوط أسنانهم إلى كونهم يأكلون التمر بكثرة، أمّا سبب ضعف البصر راجع إلى هبوب العواصف فيها وتكون محملة بالرمال والغبار. فيما يخص سكان ليبيا فهم لا يعيشون كثيرا بنسبة أقل من سكان المناطق السابقة حوالي الستين سنة. ورغم ذلك يبقون أقوياء سالمين، أمّا سكان بلاد السودان يعمرون أقل من الأجناس الأخرى، صامدين أقوياء وأسنانهم سالمة تبقى على حالها لا تتغير، يشتهر هؤلاء السكان بالفسق والفجر كأمل ليبيا ونوميديا على عكس أهل بلاد البربر طبعهم معتدل.

كشف الوزان كن مختلف الأمراض والأوبئة المنتشرة عند الأفارقة فذكر أنّهم يعانون من أعراض الأسنان والمعدة بالإضافة إلى الإسهال ومرض الأعصاب ويصيب فئة النساء. بالإضافة إلى داء الإفرنج (الزهري) ينتشر بكثرة في بلاد البربر فإذا أصيب أحدهم به بمجرد ما أن يبدل الهواء يشفى منه[1].

تحدث عن أهم اللغات الموجودة في إفريقيا فذكر أنّه شعوب إفريقيا تستعمل لغة واحدة وهي "أوال أمزيغ" ويسميها العربة بالبربرية وهي اللغة الأصلية لإفريقيا.

[1] ينظر: الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص81-83.

فمعظم الأفارقة يستعملون الكلمات العربية في لهجتهم، لاتصال الشعوب مع العرب، فتستعمل قبيلة "غمارة"* وهوارة العربية برداءة أمّا في السودان تختلف اللغات نجد سوناي، تستعمل في عدّة مناطق كولاته، وتمبكتو ومالي بالإضافة إلى كوبر*، وتستعملها بلاد "كوبر"، أمّا في مملكة النوبة فإذ اللغة المستعملة خليط من العربية والسريانية، القبطية، أمّا المدن الإفريقية الواقعة على شاطئ البحر المتوسط إلى جبال الأطلس تتكلم لغة عبيرية فصيحة، ما عدى مملكة مراكش تستعمل البربرية وكذلك نوميديا.

أمّا بخصوص ديانة الأفارقة فذكر أنّهم وثنين، أفارقة نوميديا وليبيا، يعبدون الكواكب والأفارقة السود يعبدون "كيغيمو" اعتنق الديانة اليهودية، طوال مدة من الزمن، حتّى أنّ بعض المماليك أصبحت مسيحية وتأسست فرق إسلامية عام 268هـ، أمّا السودانيين فمازالوا وثنيين يعبدون الأصنام، كما أنّ سكان البربر وثنيين، اعتنق المسيحية قبل مولد مُحَمَّد ﷺ بمائة وخمسين سنة، وبعد موته بمائة سنة أصبح سكان بلاد البربر مسلمين، إلاّ القليل منهم، إلاّ أنّه مزال عدد كثير من البدع والفرق[1].

كما أشار إلى نوع الكتابة فذكر أنّه لم تكن للأفارقة كتابة أخرى غير الموسومة بالحروف اللاتينية، فجميع الكتب الموجودة عند العرب المتعلقة بالأفارقة مترجمة من اللغة اللاتينية، وهناك من يقول أن لإفريقيا لغة مكتوبة خاصة يهتم لكنّهم افتقدوها من خلال احتلال الرومان لبلاد البربر، فقاموا بإحراق جميع الكتب، فلا توجد في بلاد البربر أية كتابة في الأضرحة أو الجدران إلاّ بالحروف اللاتينية، فهو لا يظن أنّ الأفارقة استعملوا هذه الحروف،

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان :وصف إفريقيا،ص37- 39-67.

* غمارة: إحدى قبائل الأمازيغ بشمال المغرب، وهي فرع من المجموعة القبلية الكبرى صمودة.

* كوبر: هي مدينة مستوطنة تقع في سلوفينيا، مساحتها 13 كم^2 وترتفع عن سطح البحر 3 متر.

لأنّ الرومان عندما انتزعت تلك الأماكن، قامت بمحو كلّ النقوش الحاملة للآثار الخط الأصلي وجعلوا بدلها كتابتهم من أجل إهانة كرامة الأفارقة وإذلالهم حتّى لا يتركوا ما يذكر ماضيهم[1].

كما تعرض إلى ثرايا الأفارقة فذكر أنّهم سكان متمسكون بالديانة يهتمون بكل الأمور المتعلقة بالدين، محافظين على الصلاة، متعلمين، يتميزون بالجود والكرم والإحسان والشجاعة-محبين للحياة، يحترموا الغريب ومساعدة الآخرين، وهذا بدوره لا ينفي أنّ للأفارقة عيوب ومساوئ، فبالرغم من تمسكهم بالقيم الأخلاقية إلاّ أنّهم متكبرين وحقداء، غير منظمين، بخلاء، لصوص، لا تحكمهم قواعد محددة خونة[2].

6- إفادات جغرافية:

قام الوزان في كتابه "وصف إفريقيا" بتحديد الموقع الجغرافي لكل مدينة يزورها مع ذكر تفاصيل حول تلك المدينة فذكر: مراكش تقع في الجزء الغربي أقصي بلاد البربر «يحدها غربا المحيط الغربي، جنوبا وادي سوس، شرقا جبل الأطلس، وشمالا نهر أم الربيع*»[3]، أسسها ابن تاشيف* وهو أول ملك مرابطي عام 1502 إلاّ أنّ البعض ينسبونه إلى أقدم من ذلك لأبي دار مون ابن معاوية.

---

[1] ينظر: الحسن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص69.

[2] المرجع نفسه: ص85-90.

[3] الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، تر:محمّد حجي ،محمّد الأخضر،الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر، ج2، ط2 ، 1988 . 1989 ،ص4.

* نهر أم الربيع: أحد أكبر أنهار المغرب من سلسلة جبال الأطلس المتوسط ويتجه غربا ليصب في المحيط الأطلسي عند مدينة أزمور الماثلة على الضفة اليسرى.

* يوسف ابن تاشيف: أسير المسلمين وحد المغرب وضم الأندلس تحت ملكه وسلطته.

* نهر ملوية: نهر في شمال المغرب يبعد عن مدينة زايو بـ 15 كيلو متر ويقطع مدينة جرسيف، ويفصل بين إقليم الناظور وإقليم بركان، ينبع من الأطلس المتوسط والكبير يبلغ طوله 600 كلم.

أمّا مملكته فاس يحدها نهر ملوية* شرقا وشمالا مضيق جبل طارق وبحر اسبانيا وجنوبا قمة جبال الأطلس تم تمتد إلى نوميديا.

إقليم تامسنا «يبتدأ عند أم الربيع وشرقا إلى إقليم أبي رقراق وجنوبا تلال الأطلس الكبير وشمالا جبل طارق»[1]، تتميز هذه الأرض بالخصوبة ملائمة للحبوب والمواشي.

كما ذكر حدود مملكة تلمسان: «يحدها غربا مملكة فاس، شمالا ينحدر من الأطلس الكبير وبعده مسيلة، شرقا الاقليم يسمى إفريقية»[2] هي أرض جافة قاحلة وجبلية، تمتاز بالقبح والمراعي ومنتجة للفواكه بها جبال كثيرة يتميز قومها بالشجاعة يتعاملون مع النّاس معاملة حسنة.

«أمّا عن مدينة كاوكا ذكر أنّه إقليم يتاخم بورنو شرقا، إلى حدود مملكة النوبة الواقعة على النيل، وجنوبا إلى صحراء تتاخم منعرجا للنيل، وشمالا إلى صحراء سرت وتخوم مصر- كما ذكر أنّ مدينة النوبة تتاخم كاوكا غربا وتمتد على طول النيل جنوبا وأراضي مصر شمالا وفي وصفه لمملكة كاتسينا ذكر أنّها مملكة مجاورة لكانوا من جهة الشرق وذكر أنّ كلّ قرية في المملكة تضم 300 كانونا»[3].

كما أشار الوزان إلى توعية النشاط التجاري والاقتصادي لإفريقيا خلال رحلته فيذكر لنا بعض النماذج منها: زراعة القمح والشعير والأرز والسكر والقطن والدخن والذرة، إذ تعد من المصادر المهتمة والأساسية للغذاء ومكسب عيش حيث نجده يشير إلى أنّ القمح ترتكز زراعته في تلمسان والنيل، كما ينبت بكثرة في مراكش ودكالة والسبيت، بالإضافة إلى أمزمير ومرامر لأنّ أراضيهم صالحة للزراعة، أمّا عن زراعة الشعير فإنّه ينمو في

---

(1) الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1،ص125.

(2) المرجع نفسه: ص292.

(3) ينظر: الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، ج،1ص177-173.

جزولة بكثرة والسبيت بالإضافة إلى جبل هنكسية وجبل دمنسرة وينمو بكثرة وكميات كبيرة في إقليم حاحا وذلك أنّ أراضيهم صالحة لزراعته، فينتج هذا المحصول بكميات كثيرة في هذه المدن.

بالإضافة إلى السكر فأشار أنّ زراعته ترتكز في تيدسي وكذلك مدينة طيبة ومدينة فوة، ونجده كثير الإنتاج في بلاد السودان بالتحديد بلاد النوبة لوفرة المياه على طول نهر النيل، أمّا زراعة القطن تتركز في مالي وكانو وسلا، وتطرق كذلك إلى ذكر الفواكه أنّها تكثر في إقليم حاحاً كالتين والخوخ وتكثر كذلك في مراكش الفواكه كالتمر والعنب والتين والتفاح والإجاص.

كما أشار إلى بعض المعادن التي تزخر بها إفريقيا فنجده يقول أنّ منفلوط بعثر أحيانا سكانها على الذهب والفضة والرصاص كذلك يكثر المرجان في عنابة.

تطرق كذلك للثروة الحيوانية التي تزخر بها إفريقيا وهي متنوعة نجد: الفيل وهو حيوان وحشي يوجد بكثرة في بلاد السودان، الزرافة وهي كذلك حيوان وحشي، البعير يوجد بكميات كبيرة في إفريقيا خصوصا في نوميديا وليبيا وهي تمثل ثروة بالنسبة للأعراب.

الحمار الوحشي: حيوان شديد السرعة لحمه جيد لكن رائحته كريهة، بالإضافة إلى الغنم والماشية وهي من أهم المصادر الأساسية لكسب العيش، الإبل وهي مصدر لإنتاج اللحوم والحليب ويطلق عليه اسم سفينة الصحراء يستعمل كوسيلة للتنقل، وكذلك ذكر الأسد وهو حيوان مفترس وخطير لا يفترس الحيوان فقط بل حتّى الإنسان بالإضافة إلى الأرانب والضبع والقرد وغيرها من الحيوانات المختلفة[1].

[1] ينظر: الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1،ص [258-283].

كما ذكر كذلك الثروة المائية التي تزخر بها إفريقيا من أنهار نذكر منها: نهر النيل ودرعة نهر ينبع من الأطلس، نهر سوس ونهر واد قابس نابع من الصحراء إلى جهة الجنوب له طعم الكبريت، بالإضافة إلى واد البربر وواد العبيد ونهر تنسيفت وهو نهر كبير كثيرا العمق، نهر الشلف وهو نهر كبير ينبع في جبال الونشريس[1].

كما نجد الحسن بن مُحَمَّد الوزان قد أرفق كلّ مملكة بخريطة من أجل توضيح الموقع الجغرافي لها وتبيان حدودها.

أ- احصاء المباني:

أحصى الوزان في كتابه هذا عدد المباني الموجودة في إفريقيا وسنقف عند ذكر البعض منها:

آسفي: مدينة بناها الأفارقة على شاطئ البحر المحيط، مدينة مغربية، وهي مدينة السمك والخزف، تضم أكثر من ثمانية آلاف نسمة وهي مدينة كبيرة.

_ نفوسة: مسماة أدرار حاليا لا تتعدى خمسين دار.

_ بني تودي: تضم على ما يبدو ستة آلاف دار.

_ مليلة: مدينة اسبانية وذاتية الحكم تقع على القارة الإفريقية داخل الأراضي المغربية، تقع مليلة شمال غرب المغرب تجاور منطقة بني أنصار مقابل سواحل غرناطة وألميرية جنوب اسبانيا، تضم حوالي عشرة آلاف منزل.

_ البصرة: تضم أزيد عن ألفي دار.

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان:وصف إفريقيا،ج1 ،255-257.

_ تازة: مدينة من أقدم المدن المغربية، تقع شمال شرق المغرب، مركز هام نظرا لموقعها الجغرافي، لعبت أدوارا مهمة في تاريخ المغرب علميا وجهادا ضد المستعمر، تضم خمسة آلاف دار.

_ بولعوان: مدينة صغيرة على ضفة أم الربيع تقع في منتصف الطريق بين فاس ومراكش، تضم أكثر من خمسمائة آلاف دار.

_ القصبة: معروفة باسم القصبة، تتوافق مع مدينة الجزائر القديمة أو المدينة العتيقة، عاصمة الجزائر، والتي تعد من مواقع التراث العالمي لليونسكو منذ عام 1992م، تضم أكثر من أربعة آلاف دار.

_ أغماث: مدينة واقعة على بعد أربعة وعشرين ميلا من مراكش، وهي متحضرة تدعى مراكش الثانية، يضم أزيد عن سبعة آلاف دار.[1]

تكاوست: مدينة تاريخية مندثرة بحوض وادي نون بالمغرب الأقصى تصنفها المصادر كأكبر مدينة بسوس الأقصى خلال العصور الوسطى، تضم أكثر عن ثمانية آلاف منزل.

– **الجمعة:** مدينة صغيرة تقع في السهل بالقرب من نهر شيشاوة على بعد سبعة أميال من الأطلس أسسها الأفارقة، تشتمل على أزيد عن ستة آلاف دار.

–**أكوبيل:** تحتوي على ثلاثمائة دار.

–**أديكيس:** تضم أزيد عن ألفي دار.

– **إداو إزكواغن:** قرية بنيت كحصن على جبل عظيم تضم أزيد عن خمسمائة دار.

---

(1). https:www.aljazeera.net/2005/11/27

– **البليدة:** تضم حوالي مائة وخمسين مسكنا.

تمانتفوست: بها ما يزيد عن خمسمائة دار

ب– إحصاء السكان.

قام الوزان في كتابه "وصف إفريقيا" بإحصاء عدد السكان الذين يقطنون إفريقيا حسب توزيعهم على أقاليم ومدن عدّة نذكر:

– **مكناس:** مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة فسميت باسمها، تبعد عن فاس بستة وثلاثين ميلا، تقع في سهل يمر بها نهر صغير وتحيط به حدائق، تضم أكثر من ثمانية آلاف نسمة وهي مدينة كبيرة.

آيت عياض: يضم نحو ثلاثمائة نسمة.

صفروا: تضم حوالي خمسمائة نسمة.

تنزرت: هي جماعة قروية في إقليم تارودانت بجهة سوس ماسة جنوب المغرب يسكنها حوالي سبعمائة نسمة.

ساسا: يزيد عدد سكانها عن ثلاثة آلاف نسمة.

المهدية: مدينة ساحلية تونسية ومقر لولاية المهدية بها ما يزيد عن ألفين من السكان.

فاس: ثاني أكبر مدن المغرب بعد الدار البيضاء تأسست على يد إدريس الثاني الذي جعلها عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب تنقسم إلى ثلاثة أقسام تضم حوالي أربعة آلاف نسمة.

فاس البالي:هي مدينة قديمة محاطة بالأسوار وتتميز بشوارعها الضيقة والخالية من السيارات، تعد مقرا لجامعة القرويين، تضم ثمانية آلاف نسمة.

فاس الجديدة: هي أحد الأجزاء الثلاثة المكونة لمدينة فاس، المملكة المغربية شيده يعقوب بن عبد الحق أول ملوك المرينيون، تضم أكثر من ثمانية آلاف نسمة.

مرامر: هي جماعة قروية تابعة لإقليم الصويرة ضمن جهة مراكش يزيد عدد سكانها عن أربعمائة نسمة.

إقليم جزولة: يضم ألف نسمة وأزيد.

تيدسي: مدينة كبيرة أسسها الأفارقة، بلاد خصبة سكانها يعيشون في سلام يزيد سكانها عن خمسة آلاف نسمة.

الجمعة الجديدة: عبارة عن حصن واقع على جبل تحيط به عدة جبال، وهي مدينة حديثة بناها أحد الأمراء، خاضعة لأحد الطغاة من أسرة ملوك مراكش يتجاوز عدد القاطنين بالمدينة ألفا ومائة ساكن.

تكوليت: تضم أكثر من ألف وخمسمائة ساكن.

تدنست: مدينة قديمة بناها الأفارقة، يزيد عدد سكانها عم ثلاثة آلاف نسمة.[1]

[1] – ينظر: مُحَمَّد الحسن الوزان،:وصف إفريقيا، ص 216– 218.

الموقع	عدد السكان	الخصائص	أهم الموارد التجارية
مكناس: توجد على بعد سبة عشر فرسخا من سلا وعشرين فرسخا من المعمورة	ثمانية آلاف نسمة	– مدينة كبيرة. – تحيط بها أسوار متينة محصنة. – بها حمامات وقصور.	القمح، الكتان الماغر، الماشية.
آيت عياض: حصن واقع على ربوة صغيرة منحدرة من الأطلس الكبير.	ثلاثمائة نسمة	– أرض خصبة، بها عيون. –تحيط بها أسوار عالية، وحدائق وبساتين.	الشعير، الفواكه والزيتون، القمح.
صفروا: تقع على سفح الجبل يحدها جنوبا فاس وتقع قربها جبل يقضي إلى نوميديا.	خمسمائة نسمة	– مدينة صغيرة، أرض هزيلة، أهلها أثرياء.	الزيت، الكرم، العنب، الشعير.
تنزرت: أسسها الرومان على تل	سبعمائة نسمة	أرض خصبة صالحة للزراعة	الحرث ورعي المواشي.
ساسا: تقع على ساحل البحر المتوسط على ضفة أحد الأنهار.	ثلاثة آلاف نسمة	– أسسوها قبل تأسيس الجزائر. بنيت الجزائر على	الشعير ، المواشي.

		أنقاضها.	
المهدية: تقع على ساحل البحر المتوسط فوق كتلة سخرية داخل البحر	ألفين من السكان.	محاطة بأسوار عالية وأبراج ضخمة وأبواب مصفحة بالحديد. - يعيشون في عداء مع الأعراب	التجارة البحرية.
فاس: تبدأ من نهر أم الربيع غربا وشرقا نهر ملوية وشمالا البحر المتوسط.	أربعة آلاف نسمة.	- مدينة كبيرة تحيط بها أسوار عالية. بها فنادق وأسواق ودكاكين.	الزيت، العسل، الجبن، القماش، العطور، الشعير.
فاس البالي: يقع على تلال وفي شعاب	ثمانية آلاف نسمة.	تحيط به أسوار قديمة محصنة بها سبعة أبواب. - الدور مبنية بالآجر. - بها مدارس ومستشفيات وفنادق	القمح، الحرير، الكتان، الحوامض، الفواكه، القطن.
فاس الجديدة: يحيط بها سوران سيدن في سهل جوار النهر على بعد نحو	ثمانية آلاف نسمة	- أسوارها متينة بها قصور ومدارس وجوامع وفنادق.	الجمال، الخيل، القمح.

ميل غربي المدينة القديمة بانحراف نحو الجنوب يمر بين السورين شعبة من النهر تتجه نحو الشمال.			
مرامر: تقع على بعد خمسة فراسخ في اتجاه الشرق	أزيد عن أربعمائة نسمة.	محاطة بأسوار	الماشية، القمح والزيت.
جزولة: يحدها غربا جبل سوس ايلدا وشمالا الأطلس وشرقا إقليم حاحا.	أزيد عن ألف نسمة.	-مدينة عامرة بالسكان. - لا يوجد سلطان يحكمهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم.	- تكثر معادن النحاس والحديد ويملكون ماشية كثيرة، الشعير.
تيدسي: تقع على بعد ثلاثين ميلا من شرق تردانت وستين ميلا من البحر وعشرين ميلا عن الأطلس	خمسة آلاف نسمة.	-مدينة كبيرة، بلاد خصبة منتجة. - سكانها مهذبون يعيشون في سلام لهم نظام جمهوري.	الحبوب، قصب السكر، أشجار النيلة.
الجمعة الجديدة: حصن مشيد على جبل شاهق،	يزيد عدد سكانها عن ألفا ومائة ساكن	- سكانها طيبون، محبوبون من طرف أميرهم،	الشعير، الكتان، العنب، الدخن، والماعز.

تحيط به جبال أخرى مجاورة		توجد بها حدائق جميلة وجداول.	
تكوليت: تقع على منحدر جبل على بعد ثمانية عشر ميلا من تدنست إلى جهة الغرب	ألف وخمسمائة ساكن.	بها حدائق وبساتين عامرة بالفواكه. - بها عدة آبار مياهها صافية عذبة. - سكانها أغنى من سكان تدنس.	الحبوب، الشمع.
تدنست: تقع في سهل يحيط بها من كل جانب سور من الآجر والطين	ثلاثة آلاف نسمة.	سكانها كرماء يكرمون الغرباء والضيوف. - بها دور ودكاكين.	- القماش- نسيج الكتان -الصياغة.

حدد الحسن الوزان السكنات أو السكن بالموقد، فأحصى عدد المواقيد وهو ما يوازي أو يساوي عدد الأسر السكانية لكل مدينة أو إقليم نجد أن هناك مدن كبرى يتجاوز عدد المواقيد أكثر من ألف (1000) وهناك مدن متوسطة لا تتعدى 800 وأخرى صغيرة لا تتعدى 500 موقد.

والملاحظ أنه اعتمد في هذه الدراسة على معيار أساسي حيث أن أي تجمع لا يتجاوز 500 سكن ،لا يدخل ضمن الإحصاء كذلك من الناحية الشكلية أن المدن يجب أن تكون محاطة بسور يحميها.

7- تاريخ الكتاب:

يعد كتاب وصف إفريقيا من كتب جغرافية الرحلات يساعد الباحث في التأريخ لإفريقيا، ويستفيد من معلوماته في مختلف الجوانب التاريخية و السياسية، حفل الكتاب وصف إفريقيا بمعلومات تاريخية مهمة حيث أعطى الوزان العديد من الإشارات التاريخية في كتابه، ومن بينها نذكر: «في سنة 1514 استولى الشريف مُحَمَّد وابناه على إقليم حاحاً. اتخذ الأب مدينة تدنست دار مقام له، وشيد بها قصراً فخماً»[1].

كما تحدث عن وجود جاليات يهودية في الحواضر الصحراوية في توات وتيكورارين، لهم نفوذ تجاري في المنطقة، وقد تدخل أحد الفقهاء من تلمسان وأمر بطردهم ونهب أموالهم حيث قال: «...كان بعض اليهود الأغنياء يقيمون بتيكورارين ثمّ تدخل أحد فقهاء تلمسان فأدى ذلك إلى نهب أموالهم وتقتيل معظمهم من طرق السكان»[2].

كما أشار لحدث سياسي تمثل في الانقلاب الذّي قام به المهدي على اللمتونيين، حيث تمكن من طردهم وبايع هو ملكاً: «خلفه بعد موته تلميذه عبد المؤمن من بني وریاكل، واستمر الملك في أولاده زهاء مائة وعشرين سنة»[3]، سيطروا على إفريقيا وحكموها، إلاّ أن قضى عليه المرينيون الزناتيون، ودامت دولة هؤلاء نحو مائة وسبعين سنة إلى غاية أن تم انتزاع الملك منهم من قبل بنو وساط.

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص10.

[2] المرجع نفسه: ص134.

[3] المرجع نفسه، ص 37.

كما تحدث عن توسعات عرب نواحي مراكش ووكالة، فذكر أنّهم كانوا محررين من الكلف المخزنية مدة من الزمن «إلى أن احتل البرتغاليون أشفي وأزمور، فثارت الفتن بين القبائل وتفرقوا حزبين»[1].

كما أشار الوزان إلى حدث مهم هو تأسيس مدينة القيروان من طرف عقبة بن نافع «أسس مدينة القيروان على بعد نحوه 120 ميلا من قرطاج»[2].

وضح الوزان في كتابه التغيير السياسي الذّي حدث في بداية القرن العاشر هجري، وهو حدث مهم تمثل في اكتشاف البرتغاليين لسواحل غرب إفريقيا وإقامتهم علاقة سياسية مع بعض الممالك الموجودة على هذه السواحل في قوله: «أمّا سائر السودانيين الذّين يقطنون بساحل المحيط... قد رآهم كثير من البرتغاليين وكانت لهم معهم بعض العلاقات الخارجية»[3].

كما تحدث عن نفوذ وتوسعات البرتغاليين، فذكر أنّهم استولوا عن مدينة أزمور وخربوها وأخضعوها لهم، حيث استسلمت عن طريق التفاوض وخضعت لملك البرتغال مدة من الزمن، كما استولوا على مدينة تيوت 1514 حزب عبد المؤمن الموحدي* مدينة تاكوليت 1514.

وقام نيونيو فيرناندیس مع يحي بن تعفون بنهبها وأرسلوا إلى البرتغال عددا من الرق، وردوا إليها السكان بعد أن كانت خالية سُكانها هربوا إلى الخيال.

---

(1) الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص63.

(2) المرجع نفسه: ص40.

(3) المرجع نفسه: ص67.

كما أشار إلى أنّ أحد ملوك فاس من بني مرين استولى على مملكة مراكش من يد الموحدين «نقل عاصمة الإمبراطورية من مراكش إلى فاس، ليكون أقرب من ملك تلمسان»[1]، وسماها المدينة البيضاء إلى أنّه أطلق عليها اسم فاس الجديد.

أشار الوزان إلى نوع الخلافة عند ملوك موريطانيا، وإفريقيا وهو حكم وراثي، حيث يقول: «تكون الخلافة في الملك أباً عن جد بحكم القرابة، لأنّ الدين الإسلامي لا يعترف بالشرعية إلاّ للخلفاء»[2].

فيذكر أنّه إن أراد أحد الأمراء أن يخلفه أحد أبنائه بعد وفاته يقوم بتعيينه في حياته وزيرا أو منفذا.

أ- نهاية دولة المماليك في مصر:

كانت دولة المماليك بمثابة قوة حامية لمصر، من أطماع واستغلال خيراتها، من قبل الدول المستعمرة، وفرض سيطرتها على مصر، رغم الاضطرابات التي شهدتها مصر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وبالمقابل حققت هذه الدولة انجازات عسكرية كثيرة، وخلف وراء ذلك، عدد من الآثار تدل على مدى تقدمهم، ورغم هذا التقدم إلا أن الفساد سار في نهاية الأمر، ومع دخول دولة المماليك نجحت في الحفاظ على مصر، تم توحيد أراضيها "نجد المستشرق الاسكتلندي وليم موير في كتابه تاريخ دولة المماليك في مصر يقول: « لا يوجد في تاريخ العالم نظير العصر المماليك. » [3]

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص115.

[2] المرجع نفسه: ص169.

* عبد المؤمن الموحدي: مؤسس دولة الموحدين وحكمها من العاصمة مراكش من سنة 147 وحتّى 1163، وطبق ما أخذه من أسفله من فقه ظاهري، وفقه أشعري، فكان أول ما أخذ كامل الساحل المتوسطي من مصر إلى المحيط الأطلسي.

[3] HTTPS:/WWW.ALMASRYA LYOUM.COM/EDITOR/DETAILS, 1643/ 30-03-2017- 21 :07

رغم الجهود المبذولة من طرف دولة المماليك، إلا أنهم أهملوا الجانب الاقتصادي، (الزراعي، الصناعي)، وذلك أدى إلى ظهور العديد من المجاعات في مصر « عدد المجاعات التي اجتاحت مصر من 1250م، إلى 1517م تجاوزت 20، منها مجاعة عام 1295، وعام 1403، وتم رصد حالات أكل لحوم البشر» [1] وقد نجم عن ذلكٍ إنتشار الأمراض والأوبئة والفيضانات، وإضافة إلى ارتفاع أسعار السلع مما أدى اللجوء إلى التجارة الخارجية.

أما على الصعيد السياسي فقد عم الفساد « في أركان دولة المماليك من استخدام أهل الثقة بدلا من الكفاءات، وانتشار الرشوة وشراء المناصب، والتركيز على احتكار السلطة والتجارة » .[2]

وقد كان هذا سببا كافيا لإهمال التعليم والبحث العلمي، مما أدى إلى إنهاء دولة المماليك.

ب- دخول العثمانيون إلى الجزائر وتونس وليبيا:

دخل العثمانيون إلى الجزائر سنة 1516، وقد كان ذلك عن الطريق« استنجاد سلطان الجزائر وفتها، وهو سالم القومي، بالعثمانيين فأرسلوا له القائدين البحريين المشهورين، الأخوين خير الدين وعروج بربروس » .[3]

وقد تمكن العثمانيون من حماية الجزائريين من التحرشات الاسبانية فمكثوا في الجزائر ما يقارب ثلاثة قرون وعشرون سنة، دامت هذه الفترة إلى غاية 1830م.

---

(1) HTTPS:/WWW.ALMASRYA LYOUM.COM/EDITOR/DETAILS, 1643/ 30-03-2017- 21 :07

(2) المرجع نفسه.

(3) https://www.maghreb volces.com/2018/02/13

كان احتلال اسبانيا لتونس الدافع الرئيسي وراء دخول العثمانيون إليها، استجابة لطلب النجدة الذي أرسله الخليفة "سليمان البحار خير الدين بربروس وأمره بالاستعداد لفتح تونس وتحريرها من ملكها الحفصي"[1]سنة 1533م، وقد نجح خير الدين بربروس وتمكن من طرد السلطان حسن الحفصي من تونس، وقام بالإعلان عن ضم تونس للأملاك العثمانية.

لقد كان الهدف وراء دخول العثمانيون إلى ليبيا لا يختلف عن سابقيه واحد هو "الحماية" بعد الاستغاثات التي وجهها الليبيين إلى السلطان العثماني لتخليصهم من الصليبيين وتحريرهم سنة 1551.

من خلال هذا نستنتج دخول العثمانيين لم يكن ذو هدف خفي بل كان نتيجة الاستعانة من طرف الجزائر وتونس وليبيا وحمايتهم من الخطر الاسباني.

ج- الحملات الصليبية على شمال إفريقيا كل من الاسبان والبرتغال:

في بداية القرن السادس عشر ومع سقوط غرناطة 1492، صاحب ذلك بداية التحرشات الاسبانية ضد الشمال الإفريقي "فتم احتلال وهران وبجاية وطرابلس، وبعدها يستولون على كل من طنجة وأصلية وسبتة."[2] فيما ظل الخطر مازال يهدد كل من الرباط وسلا والعرائس وشالة، وفي نفس الوقت قام البرتغال باحتلال أغادير وشن لاحتلال سوس، فحاول "سلطان فاس بالتصدي للإسبان في الشمال مرتين على التوالي، ولا ينجح في مسعاه."[3]

---

[1] https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title:1574/2020/09/11/17:07.

[2] سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي، ص68.

[3] المرجع نفسه: ص68.

لقد بدأت الاستكشافات البحرية البرتغالية في الساحل الإفريقي سنة 1419، وسرعان ما تحول اهتمام "البرتغاليين إلى ما وراء البحار، فأرسلوا بعثة عسكرية إلى أراضي المسلمين بشمال إفريقيا"[1]وقد انجر وراء ذلك مجموعة من الأهداف فكان أولها اتاحة الفرصة لمواصلة الحملات الصليبية على السلطة المرينية المسلمة.

في حين يعيش المغرب في صراع يواجه الاسبان والبرتغال معا، نلاحظ أن كل مدنه وشواطئه وسواحله احتلت من طرف البرتغال والاسبان.

8- ثقافة الكتاب:

وضح الوزان في كتابه وصف إفريقيا بعض الجوانب الثقافية من عادات وتقاليد ومأكل ومشرب منها نجده يقول: «مازلت نساء المدينة متحجبات باستثناء الجواري»[2] ذكر أنّ نساء "تنبكتو" متحجبات وملتزمات محافظين على حجابهم على خلاف الجواري.

وكذلك من عادات سكان جني نجد أنّهم يرتدون اللثام الأزرق عامة النّاس دون استثناء «... يرتدي أهل هذه القرية لباسا حسنا ويتلثمون بلثام كبير من القطن الأسود والأزرق يعطونه به حتّى رؤوسهم»[3].

أمّا علمائهم وفقهائهم لهم لباس خاص يتميزون به عن العامة النّاس نجد قوله: «...لكن الأئمة والفقهاء يتلثمون باللثام الأبيض»[4].

---

(1) PORTNGUEUSE COLONIAL CITIES IN THE EARLY MODERN. BROCKEY, LIAM MATHEN 2008- ASHGATE PUBLISHING, LTD. WORD/ 8-03-2020.

(2) الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص166.

(3) المرجع نفسه: ص166.

(4) الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص58.

كما وصف الوزان شكل اللباس وطريقة العيش فيقول: «يتركب لباسهم من عباءة ضيفة من الصوف الخشن، ويضع كلّ واحد منهم على رأسه أو يلف حول وجهة قطعة من النسيج الأسود شكل عمامة»[1].

ذكر الوزان نوع اللباس الذّي يرتديه الأفارقة القاطنين بصحراء ليبيا، كما وف نوع الأكل وطريقة عيشهم نجده يقول: «ليس من عاداتهم أن يأكلوا الخبز أو أي طعام مطبوخ ... تعودوا أن يشربوا في الصباح ملء إناء كبير من اللبن الساخن فور ما يحلب وأن يتعشوا بالقديد المطبوخ في اللبن المدهون بالسمن»[2].

تختلف طريقة العيش لكل مجتمع باختلاف عاداتهم وتقاليدهم من مأكل ومشرب وملبس، لكل منهم حياة خاصة ونمط معين وعادات محافظين عليها يمارسونها باستمرار.

كما ذكر الوزان بخصوص سكان صحاري ليبيا أنّهم يركبوا الإبل خلال رحلتهم أو تنقلهم من مكان لآخر، ويقضون معظم أوقاتهم في الصيد.

هؤلاء السكان ليس لهم قانون محدد يخضعون له، هم قوم أميون لهم أمير يعظمونه ويخضعون له «هؤلاء القوم لا يخضعون لأي قانون ولا شرع، فإنّ لهم جميعاً أميراً يشبه ملك يعظمونه ويخضعون له تمام الخضوع»[3]، كما ذكر أن سبب هذا الجهل ناتج عن كونهم لا يخصصون وقت للدراسة، ولا يهتمون بالعلم، ولا يغادرون صحاريهم في سبيل طلب العلم.

---

[1] الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، ج 1 ص59 .

[2] المرجع نفسه:ص58.

[3] المرجع نفسه: ص59.

أمّا عرب نوميديا وليبيا تختلف عادات وأعراف شعوبهم وطريقة عيشهم باختلاف المناطق التي يقطنون «عرب نوميديا وليبيا يعيشون عيشة بؤس وفقر مدقع»[1].

عرب نوميديا وليبيا يعانون من الفقر المدقع، يعيشون عيشة بسيطة رغم ذلك إلاّ أنّهم يتميزون بالشجاعة على فرار بقية الشعوب الإفريقية يمارسون مهنة الصيد، ويملكون الكثير من الخيول: «يخرج هؤلاء العرب دائما لصيد الغزل، وحمار الوحش، والنعام واللمت»[2].

أمّا سكان العرب القاطنون بإفريقيا بين الأطلس والبحر المتوسط (البربر) هم أغنياء، يمتلكون خيول أحسن من خيول الصحراء لكنّها أكثر بطء عند السباق، لا يستقرون في مكان واحد متنقلين لديهم الأغنام والأبقار «يحرث هؤلاء العرب أرضهم فيحصلون على كمية وافرة من الحبوب ويكسبون عدداً لا يحصى من الغنم والبقر»[3].

يتميز سكان هؤلاء بالوحشية إلاّ أنّهم في المقابل كرماء ونبلاء، ومن عادات العرب القاطنين بالصحاري المجاورة لمملكة تلمسان وتونس، يقوم الملك بتقديم إعانات مالية ويوزعها على قبيلة لتقليل من الفتن ونشر السلم والأمان بينهم، وعلاقته معهم ودية «فكل أمير يتوصل من الملك بإعانات مالية ضخمة، يوزعها على قبيلته ليقي الفتن، ويعيش معهم في سلم»[4].

هؤلاء القوم يحبون ارتداء اللباس الجميل، وامتلاك الخيول والخيام الكثيرة، ونجد من عاداتهم: «أن يذهبوا صيفا إلى ضواحي تونس ليتزودوا منها، وفي شهر أكتوبر يقتنون كلّ ما يحتاجون إليه، من طعام ولباس وسلاح،

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج 1 ص67.
[2] المرجع نفسه: ص62.
[3] المرجع نفسه: ص62.
[4] المرجع نفسه: ص63.

ويرجعون إلى الصحراء ليقضوا فيها الشتاء، وفي الربيع يتسلون بالصيد»[1]، يصيدون جميع أنواع الحيوانات من كلاب وصقور يحبون الشعر وينضمون بلهجتهم قصائد وأبيات بالعامية.

من عادات نسائهم «يرتدين لباسا حسناً حسب عادة البلاد، وهو قميص أسود واسع الأكمام، يجعلن فوقه خماراً أسود أو أزرق يلتحقن به ويجعلن هدبه على أكتافهن من أمام ومن خلف، حيث يمسك بمشيك فضي، ويضعن أقراطا عديدة من الفضة كذلك في آذانهم، وخواتم في أصابعهم، وأساور في أيديهم وخلاخل في أرجلهم على عادة الأفارقة»[2]، الحسن هنا وصف لنا نوع اللباس الذّي ترتديه نسائهم، كما ذكر أنّ من عاداتهم أيضا «أن تضع هؤلاء النّساء أمام وجوههنّ ثوباً صغيراً مثقوباً أمام العيون، فإذا رأين رجلا ليس من أهله، احتجبنّ فوراً بهذا اللثام، وأمسكنّ عن الكلام»[3]، يمارسن النساء هذه العادة من أجل التستر فلا يحق إلاّ لأزواجهنّ رؤيتهم لذلك يضعن ثوباً على وجوههن، كما أنّ رجالهم يصطحبنهن معهم أثناء الحروب من أجل قتل الخوف ويزددن شجاعة.

ومن بين العادات الشائعة كذلك بين نساءهم أنّهم: «قبل الزفاف إلى أزواجهنّ، يخضبن بالحناء وجوههنّ وصدورهنّ وأذرعهن وأيديهنّ إلى رؤوس الأصابع»[4].

مارس هذه العادة العرب المستعجمة، إلاّ أنّ أشراف البلاد لم يتبعوا هذه العادة وحافظوا على بياضهم الطبيعي.

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا ،ج1، ص63.

[2] المرجع نفسه: ص64.

[3] المرجع نفسه: ص64.

[4] المرجع نفسه: ص64.

أمّا العرب صحاري بلاد البربر ومصر يعيشون حياة بسيطة وعيشة فقيرة، أرضهم جرداء، يرعون الغنم والجمال، أرضهم غير صالحة للزراعة معظمهما، يقومون بزراعة القمح بكميات قليلة يستبدلون القمح بالإبل والأغنام، رغم ذلك إلاّ أن كلّ ذلك القمح لا يكفيهم لأنّ عددهم كبير «سكان هذه القرى كثيرا ما يزعجهم العرب ويثقلون كواهلهم بالأعمال، يأتون إليهم مراراً ليستبدلوا القمح بإبلهم وغنمهم، لكنّ القمح لا يكفي لمثل أعدادهم»[1].

من عاداتهم أن يرهنوا العرب عندهم مقابل القمح الذي يأخذونه وفي حالة عدم الوفاء وانتهاء الأجل المحدد، يقومون بالاحتفاظ بالأطفال كرفيق لهم، وفي حالة رغب الآباء في استرجاع أبنائهم وجب عليهم أن يدفعوا ثلاثة أضعاف مبلغ الدين، فتصعب عليهم ولا يقدرون على ذلك فيضطروا إلى تركهم تحت تصرفهم، وهذا من أقبح العادات، هؤلاء القوم لا رحمة ولا شفقة كل من يقع بين أيديهم يجردونه من كل ما يملك.

ويقوموا ببيعه إلى الصقليين إذ نجده يقول: «حتّى إنّه منذ مائة سنة لم تمر أية قافلة بالساحل المحادي للصحراء التي يعيش فيها هؤلاء القوم، وإذا أرادت قافلة أن تخترق البلاد، مرت من الداخل على بعد نحو خمسمائة ميل من البحر»[2].

أمّا بعض القبائل الشاوية فتشتغل في تربية الأغنام والأبقار ورعيهم ولا يمارسون أي عمل آخر، يسكون الجبال معظم السكان.

من عادات الأفارقة قديماً أنّهم وثنين يعبدون الأصنام، والكواكب أمّا الفرس يعبدون النّار والشمس «ويتخذون لعبادتها معابد جميلة مزخرفة توقد داخلها نار تحرس ليل نهار حتّى لا تنطفئ»[3].

---

[1] الحسن بن محمّد الوزان : وصف إفريقيا،ج1، ص65.

[2] المرجع نفسه:ص65.

وبخصوص بعض الأفارقة السود فإنّهم يعبدون «كيغيمو ومعناه في لغتهم ربّ السماء»[1]، يقومون بهذه العادة الغريبة دون هداية من عالم أو بني، كما قاموا باعتناق الديانة المسيحية لمدة طويلة، حتّى صارت بعض الممالك مسيحية «فدانوا بالمسيحية وأخلصوا لها إلى أن قامت بعض الفرق الإسلامية عام 268هـ»[2]، وظلّ سكان البربر وثنيين يعبدون الأصنام.

سكان إقليم حاحاً يحبون الحروب ولا يخضعون للشرطة، يعتمدون على الماعز والحمير لذمة النّاس، يسكنون الجبال.

«تجارة النحل بها رائجة كتجارة الماعز سبب الكمية الهائلة من الشمع التي تستخرج منها وتباع الجلود بآسفي يأتون من أوروبا لشرائها»[3].

لا يهتم هؤلاء السكان بالتعلم لا يعرفون القراءة، ليس لديهم أطباء يتداوون بالحصيلة أو بالكي «ليس هناك سوى بعض الحلاقين، لختن الأطفال وحلق الشعر»[4]، ورغم من كون هؤلاء القوم مسلمين إلاّ أنّهم لا يعرفون مُحَمَّد ﷺ «فإنّهم لا يعرفون من هو مُحَمَّد عليه السلام، وما هي شريعته لكنّهم يعملون ويقولون دائما ما يسمعون من أقوال الفقهاء، وما يشاهدون من أعمالهم»[5]، فحسب هذا القول فسكان هذا الإقليم كانوا يتحلون بصفات الإسلام، رغم عدم معرفتهم للنبي ﷺ، فهم يسيرون على منوال الفقهاء والعلماء.

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص67.
[2] المرجع نفسه: ص67.
[3] الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص5-6.
[4] المرجع نفسه: ص6.
[5] المرجع نفسه: ص6.

أمّا بالنسبة للباسهم فهو عادي «فهو نوع من ثياب الصوف العنيد الملبد يلتوون بها، وهي لا تقل خشونة عن غطاء الفراش إلاّ بقليل،...لا يضعون على رؤوسهم قبعات ولا طاقيات، وإنّما يلفون عليها عمّامات من صوف، عرضها نحو نصف قدم، يلفون خمس مرات أو ست حول رؤوسهم كعمائم»[1].

فمن خلال هذا القول نلاحظ أنّ سكان هذا الإقليم يتميزون بملابس صوفية خشنة قديمة تختلف عن الثياب العادية، وهي بالنسبة لهم ملابس تقليدية.

ومن عادات شبابهم أن يحلقوا «رؤوسهم ولحاهم إلى أن يتزوجوا وعندئذ يُعفون شعر اللحية ويتركون ذؤابة في أعلى رأسهم، سيعرف بها المسلمون يوم القيامة»[2] ، وهذا ما قالته العرب.

أمّا سكان المدن «فلباسهم أكثر تحضرا إذ يرتدون صدريات من نسيج الملف الملون ذات أذيال عريضة، ونصف أكمام ذات أزرار كبيرة من قُدام، يلبسون فوقها شبه قميص أكثر رشاقة شيئا ما»[3].

أمّا نسائهم يرتدون «سترات وعباءات يسمينها (حُياك) وهي شبيهة بالسترات التي يرتديها الأتراك والمغاربة فوق ثيابهم»[4].

يتميزون نسائهم بالجمال والبشرة الناعمة البيضاء ورجالهم شديدوا الغيرة «يلجئون إلى العنف والبطش، إذا رأو منهنّ خيانة، لأنّهنّ ميالات إلى الغرام بطبعهنّ»[5].

---

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان:وصف إفريقيا،ج2،ص6.
[2] الحسن المرجع نفسه: ص6.
[3] المرجع نفسه: ص7.
[4] المرجع نفسه: ص7.
[5] المرجع نفسه: ص7.

أمّا طعامهم في الغالب دقيق الشعير، ومختلف الأطعمة العادية كالعصيدة «التي تصنع بقطعة من العجين المطبوخ بالماء والملح... وهناك أيضا الحلوى المصنوعة من دقيق الشعير المطبوخ في اللبن أو الزبد الطري»[1].

لكنّ الطعام المتداول عند الأفارقة ويأكلونه بكثرة هو "الكسكسو" بالإضافة إلى لحم الماعز والغنم أكثر من لحم البقر والضأن.

يجلسون على الأرض نساءً وجالاً «إذا وضعت القصعة وسطهم أخذ كل واحد منهم بيده ممّا يليه، أغني اليد اليمنى، معتقدين أنّ الأكل باليسرى خطيئة قاتلة، لأنّهم يستعملونها عندما يستنجون ولا يسمح لهم دينهم أن يأكلوا بالملاعق»[2].

عندما ينتهون من الأكل يلحسوا أصابعهم لأنّهم لا يستعملون فوطا ولا مناديل كذلك عندما يغسلون أيديهم لا يمسحون ويتركوها حتّى تجف وحدها في الهواء: «ليس لديهم صابون، لا يعرفون ما هو لكنّهم يغسلون ثيابهم بنوع من النبات يسمونه غاسول»[3]، يتميز سكانهم بالكثافة، وهم مشاغبون، يعيشون حسب أهوائهم ولا يخضعون لأي سلطة.

كما نجد أنّ الوزان ذكر لنا كرم وطيبة سكان "تدنست" فيقول: «إذا جاء غريب إليها، ولم يكن له صديق يستضيفه، اتصل بالحاكم والأعيان، فسلموا له بالقرعة بطاقة لإيوائه وإطعامه مجاناً عند أحد أعيان البلد...

---

[1] الحسن بن محمّد الوزان :وصف إفريقيا، ج2 ،ص8.

[2] المرجع نفسه: ص8.

[3] المرجع نفسه: ص8.

ويعتبرون من الإهانة أن يُقدم لهم مال في مقابل ذلك»[1]، وهذه عادة محمودة عندهم يقومون بذلك عن طيب خاطر، هم كرماء جداً، كما يتميزون بحسن الاستقبال، وبالكرم والضيافة.

نستنتج أن الحسن بن مُحَمَّد الوزان خلال رحلته إلى إفريقيا كل مدينة يزورها يقوم بوصف عاداتها وتقاليدها وطريقة عيشها فنجده خلال رحلته إلى بلد ما يتأقلم معهم وينسجم لا يحس بالغربة فيقوم بلباس نفس اللباس الذي يرتدونه أفراد ذلك البلد فيبدو أنه منهم.

لباس شمال إفريقيا تقليدي، يرتدون الصوف والجلود، أما بالنسبة للمأكل يأكلون أطعمة بسيطة تتمثل في الحبوب، العصيدة والكسكسو ، كما قام بتسجيل مجموعة من الأحداث التاريخية والسياسية للبلدان التي زارها.

[1] الحسن بن مُحَمَّد الوزان:وصف إفريقيا،ج2 ،ص10.

الخاتمـة

الخاتمة:

وفي الختام لا يسعنا سوى ذكر أهم النتائج المتوصل إليها خلال بحثنا هذا والّتي نحصرها في النقاط التالية:

- يعد كتاب وصف إفريقيا من أهم مؤلفات الحسن الوزان ليس باستطاعة أي باحث في تاريخ إفريقيا الاستغناء عنه أو تجاهل معلوماته.

- أعطى كتاب وصف إفريقيا صورة متكاملة تتضمن معلومات قيمة وفي غاية الأهمية عن حضارة شعوب إفريقيا وأحوالهم من خلال وصفه العديد من الأمور الّتي عايشها خلال رحلته.

- كتاب وصف إفريقيا وثيقة جغرافية أساسية خاصة بالنسبة لعلماء الخرائط الجغرافيين.

- يعتبر من أثمن المصادر يحتوي على معلومات مهمة تاريخية وسياسية واجتماعية عن إفريقيا.

يتميز كتاب الوزان بروح نقدية أضفى عليه التلاقح الثقافي الخصيب.

- التزام الوزان الموضوعية والحياد التام خلال توثيقه لكتاب وصف إفريقيا.

- كتاب وصف إفريقيا يعتبر كنز من ذهب شكّل نقطة انطلاقا مهمة لدى الأوروبيين أعطى صورة مفصلة عن إفريقيا، استفادوا من معلوماته في تصحيح الخرائط وضبط كلّ ما يتعلق بإفريقيا.

- اتبع الوزان منهج المعاينة والملاحظة ثمّ التحليل والاستنتاج.

- كتب الوزان كتابه اعتماداً على الذاكرة دون أن يكون له كتب يرجع إليها ليتأكد من صحة الأحداث وتسلسلها وضبط التواريخ، فلم يكن له أي أصل عربي نقل عنه.

- يعتبر كتاب وصف إفريقيا ذو قيمة كبيرة ولا يزال حتّى الآن وثيقة أساسية ومصدر لا غنى عنه، بحيث يشكل مدرسة قائمة بذاتها، شهد على نوع شخصية الوزان.

- من الطبيعي أن يحفل كتاب وصف إفريقيا بالعديد من المزايا لكن هذا لا ينفي وجود نقائص، فلا يخفى على أحد أنّه يحتوي على عدد ضخم من الأخطاء البارزة فاعتماده على الذاكر لم يكن أميناً كلّ الأمانة.

- إنّ المتتبع لسرد أحداث الوزان بلحظ وجود تباين في نقل المعلومات فبعض المدن فصل فيها وأعط معلومات وافية والبعض الآخر تحدث باختصار وذلك انطلاقا من المادة المتوفرة لديه.

-لم يعتمد الوزان على المنقول والمكتوب بل لجأ إلى الرحلة الميدانية لتأكيد معلوماته.

- يبقى المجال مفتوح أمّا الباحثين من أجل التعمق في شخصية الحسن الوزان لأنّ الغموض لا يزال يكشف بعض جوانب دراسته.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

1. الحسن بن مُحَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج1، تر: مُحَّد الأخضر مُحَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 1983.
2. الحسن بن مُحَّد الوزان: وصف إفريقيا، ج2، تر: مُحَّد الأخضر مُحَّد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، ط2 الرباط، 1989/1988.

ثانيا: المعاجم

1. إبراهيم: أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، مج 1، ط4، بيروت، الدار البيضاء، 2000.
2. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مج 3، تد عبد الحميد هنداوي، ط1، 2003، 1424
3. مجد الدين مُحَّد يعقوب الفيروز بادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2009.
4. مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1944، 1984.

ثالثا: المراجع باللغة العربية:

1. ابن بطوطة مُحَّد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 1، تقد: مُحَّد السويدي، دار صادر، بيروت، د ط، الجزائر، 1989.

2. ابن جبير: رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت، د ط، الجزائر، 1988.

3. ابن خلدون: المقدمة، تح: درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية،ط2، بيروت، 2000.

4. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ج7، ط1، بيروت، 1998.

5. أبو خلدون ساطع الحصري: آراء وأحاديث في العلوم والأخلاق والثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1985.

6. أحمد أبو زيد: تايلر، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر،دط،دت .

7. أحمد أبو زيد: محاضرات في الأنثربولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، بيروت، 1978.

8. أغناطيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1987.

9. أمين معلوف: ليون الإفريقي، تر: عفيف دمشقية، دار الفرابي، بيروب، لبنان، ط1، 1982.

10. جنيت وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم جزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

11. حسني مُحَّد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

12. خضر أحمد عطاء الله: دراسات في آفاق الفكر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دبي، 1990.

13. زكي مُحَّد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، د ط، بيروت، لبنان، 1981.

14. سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة: صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1995.

15. السعيد يقطين: الرواية والتراث السردي العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.

16. شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل ورؤيته، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، ط1، القاهرة، 2006.

17. شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1956.

18. صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي،دط،دت .

19. عبد الرحيم مؤدن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار تيار الآفاق الأهلية للنشر والتوزيع، د ط، د ت.

20. عبد الفتاح مُحَّد وهيبة: جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، من الأدب الجغرافي في التراث العربي، منشأة المعارف، د ط، الإسكندرية، 1995.

21. عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

22. عبد الله العلايلي: مختار الصحاح في اللغة والعلوم، ط4، دار الحضارة، بيروت، 1974.

23. عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة "أشحان يمنية"***، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر،دت .

24. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، الكويت، 1998.

25. عبد المالك: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2007.

26. عمر بن قينة: رحلات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، دار الأمة،دط،دت .

27. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2، القاهرة، 1423هـ، 2002م.

28. محسن جاسم الموسوي وكمال نجيب عبد المالك: التراث الثقافي العربي مختارات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007.

29. محي الدين أبي زكريا يحي بن شوق النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، تح: مُحَمَّد بن عبد الرسول، ج17، 18، مكتبة أبو بكر الصديق، ط1، القاهرة، 2006.

30. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، موفم للنشر، د ط، الجزائر، رغاية، 1989.

31. ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، في نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995.

32. النساج سيد حامد: مشوار كتب الرحلة، قديما وحديثا، مكتبة غريب للطباعة، د ط، القاهرة، 2007.

33. نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية المغربية في نهاية القرن التاسع هجري، ط1، دار الأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2001.

رابعا: المذكرات والرسائل:

1.حافظ مُحَمَّد باد شاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة، دفعة 2009، 2013، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام أياد، باكستان.

خامسا: المجلات والدوريات والجرائد

1.الحسن بن مُحَمَّد الوزان: وصف إفريقيا، جريدة الحياة، موقع اللغة والثقافة العربية، بيروت، العدد 1، 1946.

2.الطاهر خالد: مساهمة الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد4، سبتمبر، 2017.

3.عبد القادر العافية: كتاب وصف إفريقيا، مجلة دعوة الحق، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالثقافة والفكر، العدد 207، 1957.

4.فردوس أحمد بت: أهمية أدب الرحلات من الناحية العلمية والتعليمية، مجلة اللغة، العدد3، مارس 2017.

5.مُحَمَّد عبد الخالق، مُحَمَّد فضل وآخرون: الموسوعة العربية العالمية، ج 21، الرياض المملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، 1999.

6.من أمين معلوف إلى نتالي ديفيس ... هوية ليون الإفريقي الضائعة، 2008/12/10، جريدة الجريدة.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. -Hofstede. Geert l gert jam Hofstede. Culure l organisation. Software of the mind. M c Graw Hill. New york. 2005.
2. -Sapir. Selected Writings of Edward sapir in language and personality.
3. PORTNGUEUSE COLONIAL CITIES IN THE EARLY MODERN. BROCKEY, LIAM MATHEN 2008- ASHGATE PUBLISHING, LTD. WORD/ 8-03-2020.

المواقع الإلكترونية:

1. https. www. aljazeera. Net/ 2005/ 11/ 27.
2. https://www.maghreb volces.com/2018/02/13
3. https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title:1574/2020/09/11/17:07
4. https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title:1574/2020/09/11/17:07
5. HTTPS:/WWW.ALMASRYA LYOUM.COM/EDITOR/DETAILS, 1643/ 30-03-2017

الملاحق

الملحق رقم: 1: خرائط توضيحية للمناطق التي زارها ووصفها الحسن الوزان

خريطة شمال إفريقيا على عهد الحسن الوزان

الصورة ماخوذة ، من كتاب : وصْـــف إفريقيا للمؤرخ الحسن الوزان الملقب بـــ ليون الافريقي.

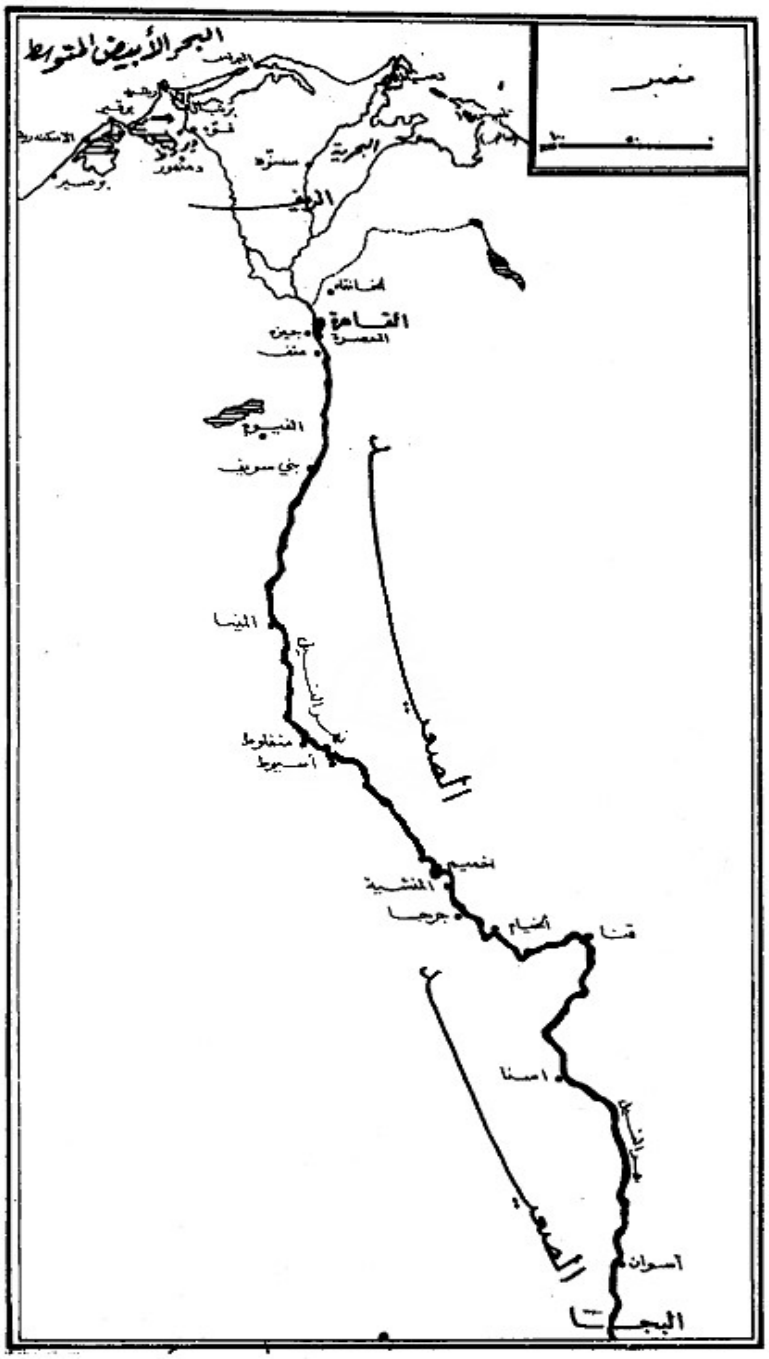

خريطة مصر على عهد الحسن الوزان

خريطة مراكش على عهد الحسن الوزان

فهرس المحتويات

المقدمة.....أ

الفصل الأول: مفاهيم أولية ..... **د**

1- مفهوم الرحلة:.....5

أ- لغة: 5

ب- اصطلاحا: 6

2-مفهوم أدب الرحلة:.....7

3- مفهوم الفضاء: 9

أ- لغة: 9

ب- اصطلاحا: 11

3-1- مفهوم الحيز:.....13

3-2- الفضاء/ الحيز: 13

4- مفهوم التاريخ: 14

أ- لغة: 14

ب- اصطلاحا: 15

5- مفهوم الثقافة:.....17

أ- لغة: 17

ب- اصطلاحا: 19

6- نشأة الرحلة وتطورها: 21

7- أغراض الرحلة: 24

8- خصائص أدب الرحلة: 27

9- أدب الرحلة والتاريخ: 30

10- أدب الرحلة والفضاء: 28

11- أدب الرحلة والثقافة: 31

الفصل الثاني: كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان **35**

1- التعريف بالكاتب: 36

أ- التعريف بالحسن الوزان: 36

ب- مؤلفاته: 39

2- التعريف بكتاب وصف إفريقيا 40

3- أهداف تأليف الكتاب: 43

4- أقسام الكتاب: 43

5- طبيعة إفريقيا: 44

6- إفادات جغرافية: 49

أ- احصاء المباني: 52

ب- إحصاء السكان..... 54

7- تاريخ الكتاب: 60

أ- نهاية دولة المماليك في مصر: 62

ب- دخول العثمانيون إلى الجزائر وتونس وليبيا: 63

ج- الحملات الصليبية على شمال إفريقيا كل من الاسبان والبرتغال: 64

8- ثقافة الكتاب:..... 65

الخاتمة **74**

قائمة المصادر والمراجع..... **77**

الملاحق..... **84**

فهرس المحتويات **89**

ملخص

من خلال دراسة السرد والوصف والتاريخ والثقافة التي يتميّز بها نص كتاب وصف إفريقيا، للحسن الوزان وإبراز أهم مظاهره الفنّية والموضوعية، وكذا أهدافه الاستكشافية والاستعمارية يتبيّن أنّ النّص نص يندرج ضمن أدب الرحلات ذات الطابع التبشيري والتوسعي ولهذا الأدب منهجية خاصة تختلف عن رحلات السير الذاتية أو المغامرات الشخصية المعهودة لدى الرحالة العرب قديما.

الكلمات المفتاحية: السرد- التاريخ- الثقافة- وصف إفريقيا- أدب الرحلات- الطابع التبشيري والتوسعي.